أسئلة بيانية

في القرآن الكريم

تأليف
الدكتور فاضل صالح السامرائي

الجزء الثاني

دار ابن كثير

أسئلة بيانية

في القرآن الكريم

الجزء الثاني

● الموضوع: علوم القرآن
العنوان: أسئلة بيانية في القرآن الكريم - الجزء الثاني
تأليف: الدكتور فاضل صالح السامرائي

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

ISBN 978-614-415-041-2

© حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف.

ISBN 978-614-415-041-2

9 786144 150412

● الطباعة: مطابع المستقبل - بيروت ــ التجليد: شركة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت
● الورق: كريم ــ ألوان الطباعة: لونان ــ التجليد: كرتونيه
● القياس: 17×24 ــ عدد الصفحات: 152 ــ الوزن: 420 غ

دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي - صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2258541

بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة - تلفاكس: 01 817857، جوال: 03 204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

أسئلة بيانية في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور فاضل صالح السامرائي

الجزء الثاني

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾
عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

[الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥]

صدق الله العظيم

أسئلةٌ بيانيةٌ

١٠١ ـ قال تعالىٰ في سورة البقرة : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٢] .

وقال في سورة الإسراء : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] .

سؤالٌ : لماذا أشار إلىٰ الكتابِ في آية البقرةِ بـ : (ذٰلك) الذي هو للبعيد ، وأشار إلىٰ القرآنِ في آية الإسراءِ بـ : (هـٰذا) الذي هو للقريب ؟

الجواب : أشار إلىٰ الكتاب بـ : (ذٰلك) ليدل علىٰ علوّه وبعده عن الرَّيب ، وأنه بعيد المنالِ عن أن يُؤتىٰ بمثله كما قال تعالىٰ : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ...﴾ [البقرة : ٢٣ ـ ٢٤] .

بخلاف قولِهِ في الإسراءِ : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] فلمَّا كان الأمر في ذكر هدايةِ الناسِ ومعرفتهم به وبأحكامه ، انبغىٰ أن يكون قريباً منهم .

ولا يحسنُ أن يقال في آية الإسراءِ : (إن ذٰلك الكتاب يهدي للتي هي أقوم) وذٰلك أنه تقدَّم الآية قوله : ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ... ﴾ [الإسراء : ٢] .

فلو قال : (إن ذٰلك الكتابَ) لكانت الإشارة محتملةً إلىٰ كتابِ موسىٰ ، وكذٰلك لو قال : (هٰذا الكتابُ) .

فذكر القرآن الذي هو عَلَمٌ علىٰ كتاب سيدِنا محمدٍ ﷺ .

هٰذا إضافةً إلىٰ أنه لم ترد الإشارة إلىٰ لفظِ القرآنِ إلا بـ : (هٰذا) ؛ لأنه من القراءة ، والقراءة ينبغي أن تكون من شيءٍ قريبٍ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وقال : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ٣٧] .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الإسراء : ٨٩] .

وقريبٌ من هٰذا قولُه تعالىٰ : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .

وقوله : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام : ٩٢] .

وذٰلك أنه لما قال : (أنزلناه) صار قريباً .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الأحقاف : ١٢] فأشار بـ : (هٰذا) ، وذٰلكَ أنه قال في الآية : ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٢] .

فلو قال : (وذٰلك كتابٌ) لاحتملت الإشارة إلىٰ كتابِ موسىٰ الذي تقدَّم ذكره في الآيةِ .

١٠٢ ـ قال تعالىٰ في سورةِ البقرةِ : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٣] .

وقال في سورةِ النُّورِ : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور : ٢٩] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ البقرةِ : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، وقال في آيةِ النُّورِ : ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ فلم يذكر الفعلَ (كنتم) ؟

الجوابُ : الآية في البقرة هي قول ٱللهِ للملائكة في قصة آدمَ ، فذكر لهم أنه يعلم غيب السمٰواتِ والأرضِ ، ويعلم ما يبدون وما كانوا يكتمون ، فاستغرق علمه الزمنَ كلَّه والأمرَ كلَّه .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ يشمل ما كتموه علىٰ وجه الاستمرارِ ، فشمل الماضي كلَّه .

وما كانوا يكتمونه ، قيل : هو قولهم : لن يخلق ٱلله تعالىٰ أكرمَ عليه منَّا [١] ولا أعلم منَّا .

وقيل : هو ما أسرَّه إبليسُ في نفسه من الكبر [٢] .

فقوله : ﴿ مَا تُبْدُونَ ﴾ شمل علمه الحالَ .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ شمل علمه الماضي علىٰ جهةِ الاستمرارِ .

---

(١) انظر : روح المعاني (١ / ٢٢٨) .

(٢) انظر : فتح القدير (١ / ٥٢) .

فشمل علمه الزمن كلَّه ، والأمر كلَّه .

وأما آية النورِ فهي في دخول بيوتٍ غيرِ مسكونةٍ ، وربنا يعلم ما يبدون في دخولهم البيوتَ ، وما يكتمونه في أنفسهم ، وماذا يضمرون فيها عند الدخول ، وذٰلك هو المهمُّ . أما ما قبل ذٰلك ، فلا يدخل في هٰذا الأمرِ .

وقيل في قوله : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ : « وعيد لمن يدخل هٰذه المداخل لفساد أو اطلاع علىٰ عورات »[1] أو التَّجسُّس علىٰ قطَّانها ، أو بقصد أذاهم ، أو سرقة متاع .

فناسب كل تعبيرٍ موضعَه .

١٠٣ ـ قال تعالىٰ في سورةِ البقرةِ : ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [البقرة : ١١٣] .

وقال نحو ذٰلك في مواطنَ أخرىٰ (النحل : ١٢٤ ، الحج : ٦٩ ، الزمر : ٣) .

وقـال : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [يونس : ٩٣] .

وقال نحو ذٰلك في سورةِ الجاثيةِ (١٧) .

وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [الحج : ١٧] .

وقال نحو ذٰلك في السجدةِ (٢٥) .

---

(١) روح المعاني (١٨ / ١٣٨) .

سؤالٌ : لماذا قال في مواضع (يحكم) ، وفي مواضع (يقضي) ، وفي مواضع (يفصل) ؟

الجوابُ : قالوا : « الحكم بالشيء هو أن تقضي بأنه كذا ، أو ليس بكذا ، سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه »[١] .

وقد تحكم على أمر أنه حق أو باطل ، من غير فصلٍ أو قضاءٍ أو إلزام ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨ ـ ٥٩] .

وقال : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤] .

أما القضاء فأصله القطع والفصل . وقضاء الشَّيء إحكامه ، وإمضاؤه ، والفراغ منه .

والقضاء في اللغة علىٰ وجوه ؛ مرجعها إلىٰ انقطاع الشيءِ وتمامه .

وكل ما أحكم عمله وأُتم أو ختم ، أو أُدّي أداءً أو أُنفذ أو أُمضي ، فقد قُضِيَ .

والقاضي في اللغة معناه : القاطع للأمورِ المحكم لها .

وقد يكون بمعنىٰ الفراغِ ، نقول : (قضيتُ حاجتي) و (قضىٰ فلانٌ صلاته)[٢] .

---

(١) تاج العروس (حكم) .

(٢) انظر : لسان العرب (قضیٰ) .

قال تعالىٰ : ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ [القصص : ٢٩] .

وقال : ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هود : ٤٤] .

وجاء في (الفروقِ اللغويةِ) في الفرق بين الحكمِ والقضاءِ : « إنَّ القضاء يقتضي فصلَ الأمرِ علىٰ التمام ، من قولك : (قضاه) إذا أتمه وقطع عمله ، ومنه قولُه تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ [الأنعام : ٢] .

والحكم يقتضي المنع عن الخصومة . . . ويجوز أن يقال : الحكم فصل الأمورِ علىٰ الأحكام بما يقتضيه العقلُ والشرع »[1] .

فالقضاء أشد ؛ لأنه يقتضي إمضاءَ الحكمِ وإتمامه والفراغ منه .

وأما الفصل فإنه إبانة أحدِ الشيئينِ من الآخر ، حتىٰ يكون بينهما فرجة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ [يوسف : ٩٤] .

والفصال : الطلاق ؛ لأنه تدور معانيه علىٰ البعد .

جاء في (لسان العرب) : « الفصل بونُ ما بين الشَّيئين ، والفصل الحاجز بين الشَّيئين . والفصل القضاء بين الحق والباطل »[2] .

فهو أشدُّ مما قبله ؛ لأنه يفيد الابتعاد .

والقرآن يستعمل الحكمَ فيما هو أخفُّ من القضاءِ ، ويستعمل القضاءَ فيما هو أخصُّ من الفصلِ .

قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل : ١٢٤] .

---

(١) الفروق اللغوية (٢١) .

(٢) لسان العرب (فصل) .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس : ٩٣] .

فقد قال في آيةِ النحلِ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ ﴾ .

وقال في آيةِ يونسَ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى ﴾ ذٰلك أنه ذكر في آية يونسَ الاختلافَ بعد مجيءِ العلمِ ، وهو أشدُّ مما قبله ؛ مما لم يذكر فيه ذٰلك .

ونحو ذٰلكَ قولُه تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية : ١٦ ـ ١٧] . وهو نظير ما مرَّ .

أما الفصل فهو أشدُّ ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج : ١٧] .

فأنت ترىٰ أن الفصلَ إنما هو بين مِلَلٍ مختلفةٍ مؤمنةٍ ، وأهل كتابٍ ، ومشركينَ . وهٰذا يقضي الافتراقَ بين هٰذه المللِ في الحكمِ ، وفي الخاتمة ، فمنهم في الجنة ، ومنهم في السَّعير في دركاتٍ مختلفةٍ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [السجدة : ٢٣ ـ ٢٥] .

فذكر أن ٱللهَ يفصلُ بينهم ، وقد قيل : إن الفصلَ إنما هو بين الأنبياءِ

وأممِهم[١] ، وقيل : بين المؤمنين والمشركين[٢] .

والفصلُ بين هـٰؤلاءِ أشدُّ في الحكمِ والخاتمةِ .

وقال تعالىٰ : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [الممتحنة : ٣] .

ذٰلك أن هـٰذا الفصلَ إنما هو بين المؤمنين وأعداءِ ٱللهِ ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [الممتحنة : ١ ـ ٣] . فناسبَ ذكرَ الفصلِ ، وناسب كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

١٠٤ ـ قال تعالىٰ في سورةِ البقرةِ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقال في سورةِ النُّورِ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٠] .

سؤالٌ : لماذا أكّد خبر (إن) في آيةِ البقرةِ باللاَّم ، فقال : (لرؤوف) ، ولم يؤكِّده باللاّم في قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ؟

الجوابُ : من أكثر من جهة ، فإنه لا يصحُّ التوكيد باللام في آية

---

(١) انظر : روح المعاني (٢١ / ١٣٨) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢١ / ١٣٩) .

النور ؛ لأنه خبرٌ لـ(أن) المفتوحة الهمزة ، ولا يصحُّ اقتران لامِ الابتداءِ بخبرها . . هـٰذا من ناحيةٍ .

ومن ناحيةٍ أخرىٰ أن المذكورين في آيةِ البقرةِ كانوا في عبادةٍ وطاعةٍ . قال تعالىٰ : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

فذكر أن ٱللهَ لا يُضيع صلاتهم التي كانوا يصلُّونها قبلَ تحويلِ القبلةِ .

وأما السياق في آية النور ، فإنه في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ١٩ ـ ٢٠] .

ولا شكَّ أن الأولين أولىٰ بالرأفة والرحمة ، فناسب التَّوكيد .

١٠٥ ـ قال تعالىٰ في سورةِ البقرةِ في الآيةِ الثامنةِ والخمسينَ بعد المئةِ : ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

وقال في سورةِ البقرةِ أيضاً : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

سؤالٌ : لماذا قال في الآيةِ الأولىٰ : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالواو ، وقال في الآيةِ الأخرىٰ : ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالفاءِ ؟

الجوابُ : إن الآية الأولىٰ في طاعة أخرىٰ ؛ من حجٍّ ، أو عمرةٍ ، أو طوافٍ ، أي : فمن أتىٰ بنفلٍ آخرَ من نحو هـٰذا الخيرِ ، فإن ٱلله شاكرٌ عليمٌ .

أما الآية الأخرىٰ ، فإن التَّطوع والزِّيادة في نفسِ الفديةِ بأن يزيد علىٰ القدرِ المذكورِ ، من حيث عدد الذين يطعمهم ، فيجعله أكثرَ من مسكينٍ ، أو يزيد علىٰ القدرِ المذكورِ .

جاء في (روح المعاني) : « فمن تطوع خيراً بأن زاد علىٰ القدرِ المذكورِ في الفدية ، أو زاد علىٰ عددِ مَنْ يلزمه إطعامه ، فيطعم مسكينين فصاعداً ، أو جمع بين الإطعام والصَّوم »(١) .

فإن هـٰذه الآية في أمرٍ واحدٍ ، فيجعل التَّطوع قسماً من الفدية .

أما الآية الأولىٰ ، فإنها في طاعةٍ منفصلةٍ .

١٠٦ ـ قال تعالىٰ في سورةِ البقرةِ : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقال في سورةِ النساءِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] .

سؤالٌ : قدَّم الإيمان باليوم الآخرِ في سورةِ البقرةِ علىٰ الملائكة والكتاب والنبيين . وأخَّر اليومَ الآخرَ في آيةِ النِّساءِ ، فلماذا ؟

(١) روح المعاني (٢ / ٥٩) .

الجوابُ : إنَّ السِّياق قبل آية البقرةِ في ذكرِ اليوم الآخرِ ، وما أعدَّ فيه لمن عصاه ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة : ١٧٤ ـ ١٧٧] .

فذكر الكتابَ بعد يوم القيامةِ ، فقال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾ بعد ذكرِ ما أعدَّه ٱللهُ لمن عصاه يومَ القيامةِ . وهو نظيرُ ما ورد في الآيةِ المذكورةِ ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ... ﴾ من تقديمِ الإيمانِ باليومِ الآخرِ علىٰ الإيمانِ بالكتابِ .

وأما في آية النِّساء ، فليس السِّياق في اليوم الآخرِ ، فجعله آخراً ، فإنه قال في الآيةِ المئةِ والخمسينَ (١٥٠) : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ... ﴾ .

وقال في الآية (١٥٢) : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

فلم يذكرِ اليومَ الآخرَ فأخَّره .

فقدَّم اليومَ الآخرَ في البقرةِ مناسبةً للسِّياقِ ، وأخَّره في النِّساء ؛ للسبب نفسه .

١٠٧ ـ قال تعالىٰ في سورةِ البقرةِ : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ

فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩١ ـ ١٩٣] .

وقال في سورةِ الأنفالِ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٣٨ ـ ٤٠] .

سؤالٌ : لماذا قال في البقرةِ : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ؟

وقال في الأنفالِ : ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ؟

الجوابُ : آيات البقرةِ هي في قريشٍ ، يدل علىٰ ذٰلك قولُه : ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ .

أما آيات الأنفالِ فهي عامّة ، ولذا قال في الأنفالِ : ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ بذكر الكلِّ الدالِّ علىٰ العمومِ .

في حين قال في البقرةِ : ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ من دونِ ذكرِ ما يدلُّ علىٰ العمومِ[1] .

ولمْ يقلْ في سياقِ آياتِ البقرةِ : (وإن تولّوا فاعلموا أن ٱلله مولاكم) فلم يضعِ احتمالَ التَّولِّي في قريشٍ ، وإنما هو إلماحٌ إلىٰ أنهم

(١) انظر : ملاك التأويل (١ / ١١٦) وما بعدها .

سيُسلِمُون ، وإنما وضعَ هـٰذا الاحتمالَ للأممِ الأخرىٰ ، أو الأماكن الأخرىٰ التي تحتمل هـذا الافتراضَ .

كما لمْ يقلْ في آيةِ البقرةِ : (وإن يعودوا فقد مضت سنَّة الأولينَ) للسَّبب نفسِهِ . وإنما قال في سياقِ آيةِ البقرةِ : ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، وقال في غيرهِمْ : ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، وهو تحسُّبٌ لما قد يقعُ منهم ، وٱللهُ أعلم .

١٠٨ ـ قال تعالىٰ في سورةِ البقرةِ : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

سؤالٌ : لماذا ذكر أن العشرةَ كاملةٌ ، مع أنه معلوم أن الثَّلاثةَ والسَّبعة عشرةٌ ؟

الجوابُ : قيل في ذٰلك أوجهٌ منها :

أنه جاء بـ(كاملة) لئلاَّ يتوهم أن الواو بمعنىٰ (أو) التخييرية ، فيختار أحدَ الأمرينِ .

والواو قد تأتي للإباحة ، في نحوِ قولِكَ : (جالِسِ الحسنَ وابنَ سيرين) ، وقولِهم : (الكلمة اسم ، وفعل ، وحرف) أي : اسم ، أو فعل ، أو حرف .

وقيل : هي صفة مؤكدة ، نحو قولِه تعالىٰ : ﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النحل : ٥١] .

والتَّوكيد غير عزيزٍ في اللغة ، وذٰلك نحو أنْ تقولَ : (كتبت بيدي) ، و(رأيت بعيني) ، و(سمعت بأذني) وقوله : ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وهو يفيد تقريرَ الحكمِ وتوكيده ، وقولُه : (كاملة) للإفادة ألاَّ ينقص من الأيَّامِ شيئاً ، وللدَّلالة علىٰ أنه كمالٌ لصائمه ، وأنها مجزئة عن الهديِ[١] .

أو أن المعنىٰ : تلك عشرةٌ كمل الحج بها ، واللهُ أعلم .

١٠٩ ـ سؤالٌ : قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [البقرة : ٢١٢] .

وقال نحو هـٰذا في أكثر من موضع ، فما معنىٰ هـٰذا ؟

الجوابُ : إن لهـٰذا التعبيرِ أكثرَ من دِلالةٍ كلُّها صحيحة ، من ذٰلك :

١ ـ أنه لا يُسأل عما يفعل ، ولا يحاسبه أحدٌ .

٢ ـ وأنه يرزق من غير تقتيرٍ ، وبلا نهايةٍ لما يعطيه[٢] . فهو لا يخشىٰ أن تنفد خزائنه ، كما يفعل المخلوقون ، فإنهم يحسبون حساباً لما عندهم .

٣ ـ وأنه لا يحاسب المرزوق ، فيرزقه علىٰ قدر طاعتِهِ أو معصيتِهِ[٣] ، وإنما يُمِدُّ من يشاء من هـٰؤلاء وهـٰؤلاء علىٰ ما تقتضيه حكمته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] .

٤ ـ أنه يعني أنه يوسع علىٰ من توجب الحكمة التوسعة عليه[٤] ، ولا يفعل ذٰلك من غير حكمة .

---

(١) انظر : تفسير الرازي (٢ / ٣١٠) ، روح المعاني (٢ / ٨٣ ـ ٨٤) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢ / ١٠٠) .

(٣) انظر : البحر المحيط (٢ / ١٣١) .

(٤) انظر : الكشاف (١ / ٢٦٩) .

٥ ـ هو يرزق من يشاء من غيرِ حسابٍ من العبد ، فقد يرزق العبدَ ، وهو لا يعلم ، ولا يحسب لذٰلك حساباً ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٣] .

١١٠ ـ **سؤالٌ** : لماذا قال ٱللهُ سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة : ٢٤٠] .

وقال : ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

فاستعمل الحولَ ، ولم يستعمل العامَ أو السَّنةَ ، كما قال ٱلله سبحانه : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان : ١٤] .

الجواب : أما السَّنة والعام والحِجَّة فقد ذكرناها في كتابنا (من أسرارِ البيانِ القرآنيِّ ـ باب المفرداتِ) .

وأما استعمال الحولِ هـٰهنا ، فله مناسبته ، ذٰلك أن معنىٰ (الحولِ) السنة « اعتباراً بانقلابها ، ودوران الشَّمسِ في مطالعِها ومغاربها » (١) .

ومن معاني (الحول) في اللغة التَّحوُّل والتَّغيُّر ، يقال : (حال) أي « تحول من موضعٍ إلىٰ موضعٍ ، وحال فلان عن العهدِ ؛ أي : زال » (٢) .

ومن معاني (الحول) الحجز والمنع ، يقال : « حال الشَّيء بين

---

(١) تاج العروس (الحول) .

(٢) لسان العرب (حول) .

الشيئين يحول حولاً وتحويلاً ؛ أي : حجز »[(١)] .

قال تعالىٰ : ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود : ٤٣] .

وقال : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

ولم يستعملِ القرآنُ (الحولَ) إلاَّ في حالتي الوفاة أو الطلاق ، وكلاهما تحوُّل وحاجز .

قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ... ﴾ [البقرة : ٢٤٠] .

وقال : ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

فقد ذكر بعضهم أن هٰذه الآيةَ خاصةٌ بالمطلَّقاتِ ، يدل علىٰ ذٰلك أمران :

الأمرُ الأوَّل : أن الآية ذكرتْ عقيب آياتِ الطَّلاقِ ، فكانت من تتمَّتِها .

والأمر الآخر : أن إيجاب الرِّزقِ والكسوةِ فيما بعد للمرضعاتِ يقتضي التَّخصيص ؛ إذ لو كانت الزوجة باقيةً لوجب علىٰ الزوجِ ذٰلك بسبب الزَّوجية ، لا الإرضاع[(٢)] .

والوفاة تحوُّل وتغيُّر ، والوفاة حاجز بين الزَّوجينِ ، فناسب استعمال الحولِ ، والطَّلاق تحوُّل وتغيُّر وهو حاجز بين الزوجين ، فناسب استعمال الحولِ أيضاً .

---

(١) المصدر السابق نفسه (حول) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢ / ١٤٥ ـ ١٤٦) ، وانظر : فتح القدير (١ / ٢١٨) .

وذٰلك من لطيفِ التّناسبِ ودقّته .

١١١ ـ قال تعالىٰ في سورةِ البقرةِ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

سؤالٌ : لماذا قال : ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ بالفاءِ ، ثمَّ قال : ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ فجاءَ بـ(ثم) ، ولم يأتِ بالفاءِ ؟

الجوابُ : الفاءُ تدلُّ علىٰ التّرتيب والتّعقيب ، و(ثم) تدل علىٰ التّرتيب والتّراخي ، كما هو معلوم . فجاءَ بـ(ثم) لئلاَّ يفهم أنه إذا طالتِ المدة لم يكن الأمرُ علىٰ ما ذكر ، وليجعل لإبراهيم سعةً في الانتقالِ والحركةِ والتّصرُّفِ . ولو جاء بالفاءِ لم يكن الوقت بهـٰذه السّعة .

ولا شك أن إحياءَها بعد الذّبح بمدة طويلة أدلُّ علىٰ القدرة من الإسراع في ذٰلك ؛ لاحتمالِ تغيُّرِ اللّحمِ والأجهزةِ وفسادِها ، وذٰلك أبعد عن الحياة .

فجاء بـ(ثم) ؛ ليدلَّ علىٰ أنَّ ذٰلك لا يخرج عن قدرةِ ٱللهِ ، ضاق الوقت أو اتسع .

١١٢ ـ قال ٱلله سبحانه في سورةِ البقرةِ : ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقال في الآيةِ نفسِها : ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ .

سؤالٌ : لماذا قال أوّلاً : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ ﴾ ، وقال فيما بعد : ﴿ وَأَشۡهِدُوٓاْ ﴾ ؟

الجوابُ : إن (استشهد) أبلغ من (أشهد) ، فإن (استشهد) قد يفيد الطَّلب ؛ أي : طلب الإشهادِ كاستنجد بمعنىٰ طلبَ النجدةَ ، واستنصر بمعنىٰ طلبَ النُّصرةَ .

وقد يكون للمبالغةِ ، كاستيأس ؛ أي المبالغة في اليأسِ ، واستقر بمعنىٰ المبالغةِ في الاستقرارِ .

وكلا المعنيينِ أبلغُ من (أشهد) .

هـٰذا ، وإن المقامَ مع (استشهدوا) أبلغ من (أشهدوا) ؛ ذٰلك أنه قال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ... وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ... ﴾ [البقرة : ٢٨٢] . فقد ذكر الاستشهادَ مع الدَّينِ ، وذٰلك لحفظِ حقوقِ الدَّائنِ ، ثم ذكر أنَّ الكاتب ينبغي أن يكتب بالعدلِ . ثم أمر الذي عليه الحقُّ أن يتقي ٱلله ربَّه ، ولا يبخس من الحقِّ شيئاً ، ثم ذكر أنه إذا كان الذي عليه الحقُّ سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملَّ هو ، فليمللْ وليه بالعدلِ .

ثم قال : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ ﴾ ، وقال : ﴿ شَهِيدَيۡنِ ﴾ ، ولم يقل :

(رجلين) ؛ لأن الشَّهيد هو المبالغ في الشَّهادةِ ، العالم بموقعِها ، المقتدر علىٰ أدائِها .

في حين قال : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ ﴾ فمقامُ حفظِ الحقوقِ مع الاستشهادِ أبلغُ ، والاحتياط أكبر ، فناسب ذكر الاستشهادِ ، وناسب ذٰلك ذكر الشَّهيدِ ، وهو المبالغ في الشَّهادةِ . فناسبتِ المبالغةُ في الاستشهادِ المبالغةَ في الشَّهيد ، فناسب كلٌّ موضعَه .

جاء في (روحِ المعاني) : « ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ ﴾ أي : اطلبوهما ليتحمَّلا الشَّهادة علىٰ ما جرىٰ بينكما »[١] .

وجوَّز أن تكون السِّين والتَّاء للمبالغة « إيماءً إلىٰ طلب من تكررتْ منه الشَّهادة ، فهو عالمٌ بموقعها ، مقتدرٌ علىٰ أدائِها ، وكأن فيها رمزاً إلىٰ العدالةِ ؛ لأنه لا يتكرر ذٰلك الشَّخص عند الحكام ، إلاَّ وهو مقبولٌ عندهم ، ولعلَّه لم يقل : رجلين ؛ لذٰلك »[٢] .

وجاء في (البحرِ المحيطِ) : « ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ ، أي : اطلبوا للإشهادِ شهيدينِ ، فيكون (استفعل) للطَّلبِ ، ويحتمل أن يكون موافقةَ (أفعل) أي : أشهدوا ، نحو استيقن موافق أيقنَ . . .

ولفظ (شهيدٍ) للمبالغة ، وكأنهم أُمروا بأن يستشهدوا من كثرت منه الشهادة ، فهو عالم بمواقع الشَّهادة وما يشهد فيه ؛ لتكرُّر ذٰلك منه .

---

(١) روح المعاني (٣ / ٥٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٣ / ٥٧) .

فأُمروا بطلبِ الأكملِ ، وكان في ذٰلك إشارةٌ إلىٰ العدالةِ »(١) .

١١٣ ـ قال تعالىٰ في آلِ عمرانَ : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [آل عمران : ١١] .

وقال في الأنفالِ : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٥٢] .

سؤالٌ : لماذا أكَّد وزادَ في خاتمةِ آيةِ الأنفالِ علىٰ ما ذكره في آيةِ آلِ عمرانَ ، فقال في آيةِ آلِ عمرانَ : ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .

وقال في آيةِ الأنفالِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ ، فأكَّد بـ(إنَّ) وذكرَ وصفه بالقويِّ ، وهو ما لم يذكره في آيةِ آلِ عمرانَ ؟

الجواب : قال ربُّنا في آيةِ آلِ عمرانَ : ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ . وقال في آيةِ الأنفالِ : ﴿ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . والكفر أعمُّ من التَّكذيبِ ، فإن التَّكذيب حالة من حالات الكفرِ ، فلما ذكرَ الكفرَ ذكَر من العقوبةِ ما هو أشدُّ وآكدُ ، فقال في آلِ عمرانَ : ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ ، وقال في الأنفالِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .

ثمَّ إنَّ السِّياق في الأنفالِ أشدُّ في ذكرِ العقوباتِ ، فقد قال قبلَ آيةِ آلِ عمرانَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ .

وقال قبل آيةِ الأنفالِ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ .

---

(١) البحر المحيط (٢ / ٣٤٥) .

فذكرَ عقوبتهم في النَّزعِ وما بعد ذٰلك ، ولم يذكر ذٰلك في آلِ عمرانَ .

وقال بعدها : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ .

فذكر التَّكذيب كما في آلِ عمرانَ فذكرَ الكفرَ والتَّكذيبَ .

فكان السياق في الأنفالِ أشدَّ ، فلما زاد الكفرَ علىٰ التَّكذيب في السِّياق ، ناسب ذٰلك التَّأكيدُ .

ثم إنه قبلَ آيةِ الأنفالِ ذكر نصرَ المسلمينَ في بدرٍ علىٰ قلَّتهم ، (الآيات : ٤١ ـ ٤٩) ، والنَّصر محتاجٌ إلىٰ القوةِ فناسب ذكر القوة مع العقابِ ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .

بخلاف السِّياق في آيةِ آلِ عمرانَ ، فإنه قبل هٰذه الآياتِ وبعدها في أمورٍ أخرىٰ .

فقد قال قبلَها : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ .

وقال بعدَها : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ... ﴾ .

فناسب ذكرَ القوَّةِ والعقوباتِ الشَّديدةِ وتوكيدها سياقُ آياتِ الأنفالِ . وناسبَ ما ذكر في آيةِ آلِ عمرانَ السِّياق الذي وردتْ فيه . واللهُ أعلمُ .

١١٤ ـ قال تعالىٰ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

سؤالٌ : إنَّ الآية ذكرت الرِّجالَ ولم تذكرِ النِّساءَ ، فقد جاءَ فيها : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ، ولم تذكر حبَّ الشَّهواتِ للرِّجالِ من النِّساءِ ، فلمَ ذٰلك ؟

الجوابُ : من أوجهٍ :

الأوَّل : أنَّ ربَّنا قال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ ، ولم يقلْ : (زيِّن للرِّجال) ، والنَّاس يدخل فيهم الرِّجال والنِّساء .

الثاني : أنه عندما ذكر البنينَ ألمح إلىٰ رغبةِ النِّساءِ في ذٰلك ، فإنَّهنَّ يرغبْن في البنين ، كما يرغبُ الرِّجالُ ، ويحملْنهم في أحشائهن ، ولٰكنه لم يشأ أن يخدش حياءَهن ، فيذكر حبهن للرِّجال .

ثمَّ إن الرجال قد يجهرون بذٰلك ، ويسعون في هٰذا الأمرِ ، وينفقون الأموال في ذٰلكَ ، فصرَّح بذكرهم ، وألمح في هٰذا المعنىٰ إلىٰ النِّساء ، ولا يحسن أن يقال فيهن كما يقال في الرِّجال .

الثالث : أنه ذكر القناطير المقنطرة من الذَّهب والفضَّة ، والنِّساءُ لا يختلفن عن الرِّجال في حبِّهنَّ لذٰلك ، بل ربما يفقْنَهم فيه .

فشملتِ الآيةُ عمومَ النَّاسِ .

١١٥ ـ **سؤالٌ** : قال تعالىٰ في سورةِ آلِ عمرانَ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران : ٤١] .

وقال في سورةِ الأحزابِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب : ٤١ ـ ٤٢] ، فقدَّم الذِّكر على التسبيح .

وقال في سورةِ طه على لسانِ سيِّدِنا موسى عليه السلامُ : ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ بتقديم التَّسبيحِ على الذِّكر ، فلِمَ ذاكَ ؟

الجوابُ : الذِّكر أعمُّ من التَّسبيحِ ، والتَّسبيح أخصُّ من الذِّكرِ ، فلما ذكر وقتين في التَّسبيحِ في آلِ عمرانَ : ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ ، وكذلك في الأحزاب : ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ جاء بالأخصِّ ، وهو التَّسبيح .

وقيل : إن المراد بالتَّسبيح هنا الصلاة ، بدليلِ تقييدِه بالوقتِ(١) .

ولما أطلقَ جاء بالأعمِّ ، وهو الذِّكر ، فلمْ يقيدهُ بوقتٍ وقدَّمه ، فقدَّم ما هو أعم ؛ لأنه لا يختصُّ بوقتٍ دون وقتٍ .

أما تقديم التَّسبيحِ في (طه) ، فلأنَّ موسى في حالةِ خوفٍ من فرعونَ ، كما قال تعالى : ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه : ٤٥] .

والتَّسبيح ينجِّي من الغمِّ والكربِ ، كما قال سبحانه عن نبيِّه يونسَ : ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات : ١٤٣ ـ ١٤٤] .

وقال فيه أيضاً : ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨] .

---

(١) انظر : روح المعاني (٣ / ١٥٢) ، فتح القدير (١ / ٣٠٧) .

وقال لنبيِّه وخاتم رسلهِ ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٩٧ ـ ٩٨] فقدَّم التَّسبيح لذٰلك .

ولعلَّ لذٰلك سبباً لطيفاً آخرَ ، وهو أن التَّسبيح معناه : التَّنزيه ، فقدَّمه ؛ لينزِّهَ ٱللهَ عما لا يليق ، مما كان عليه فرعونُ وقومُه من الشِّركِ والكفرِ ، ووصفه سبحانه بما لا يليق ، وإنكار أن يكون ثمَّةَ إلـٰهٌ غيرُ فرعونَ ، وٱللهُ أعلمُ .

١١٦ ـ قال تعالىٰ في آلِ عمرانَ : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٧ ـ ١٥٨] .

وقال في سورةِ (المؤمنون) : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٥] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيتي آلِ عمرانَ : (مُتُّم) بضمِّ الميم .

وقال في سورةِ (المؤمنون) : (مِتُّم) بكسرِ الميمِ ؟

الجوابُ : لا إشكال من النَّاحيةِ اللُّغويَّةِ في ذٰلك . فإن (مات) فيها لغتان : (مات يمات موتاً) مثلَ : (خافَ يخافُ خوفاً) و(نام ينام نوماً) .

واللُّغة الأخرىٰ (مات يموت) مثل (قال يقول) . فعلىٰ لغة (مات يمات) يقال : (مِتُّ ومِتنا) بكسر الميم مثل : (خِفْتُ وخِفْنا).

وعلىٰ لغة (مات يموت) يقال : (مُتُّ ومُتنا) بضم الميم . والوجهان جائزان .

أما من النَّاحيةِ البيانيَّةِ ، فمن المعلوم أن الضَّمة أثقل من الكسرة ، وحالة الموت المذكورة في آلِ عمرانَ أثقلُ وأشدُّ ممَّا في (المؤمنون) ، وإن السِّياق أصعب وأشقُّ ، فإن الكلام علىٰ ما حصل لهم في أُحُدٍ ، وما أصابهم من قتل (الآيات : ١٥٢ ـ ١٥٥) .

ثمَّ ذكر الموت في الغزواتِ ، أوِ الضرب في الأرض ، وذلكَ يعني : الموت في الغربةِ ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

ثم قال : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ... ﴾ الآية ، يعني : الموت في سبيلِ ٱلله ؛ أي : في الجهادِ .

وليس السِّياق كذٰلك في سورةِ (المؤمنونَ) ، وإنما هو في الحوار بين رسولٍ من رسلِ ٱلله وكفارِ قومهِ ، فقد قالوا فيه : ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٣ ـ ٣٦] .

ولا شكَّ أن الموت في الغزواتِ أو في الغربة أثقلُ وأشدُّ من الموت علىٰ الفراشِ . فجاء فيما هو أثقلُ وأشدُّ بما هو أثقل ، وهو الضَّمة ، ولما هو أخفُّ بما هو أخفُّ ، وهو الكسرة .

ويدلُّك علىٰ ذٰلك أنه حيثُ قال : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا ﴾ ونحوها ، جاء بالكسرة نظيرَ قوله : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا ﴾ .

١١٧ ـ قال تعالىٰ في سورةِ النِّساءِ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء : ١] .

وقال في الأعرافِ : ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

وقال في الزُّمَرِ : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر : ٦] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ النِّساءِ : ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ؟

وقال في آيتي الأعرافِ والزُّمَرِ : ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ .

الجوابُ : الجعلُ حالة بعد الخلقِ في الغالبِ ، تقولُ : (جعل الزَّرع حطاماً) أي : بعد خلقِه وتكوينِه ، قال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ [الزمر : ٢١] .

ولا يقال : (خلقه حطاماً) فإن ذٰلك يعني ابتداءً .

وتقول : (جعل الماء عذباً بعد أن كان أجاجاً) .

وقال ربُّنا في بني إسرائيل : ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة : ٦٠] .

ولا يصحُّ : (خلق منهم) . فالخلق أوّلٌ ، والجعلُ بعده في الغالبِ .

وآية النِّساء في آدمَ وحواء ، قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء : ١] .

وأما آيتا الأعرافِ والزُّمَرِ فهما فيما بعد ذٰلك من بني آدمَ ، قال

تعالىٰ في الأعرافِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ ـ ١٩٠] .

فأنتَ ترىٰ أنها ليست في آدمَ وحواء ، بدليل قوله فيها : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

فإنه لا يصحُّ أن يقال في آدمَ وحواء : (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما . . .) .

وكذٰلك آية الزُّمَرِ ، فإنها ليست في آدمَ وحواء ، بل فيما بعد ذٰلك من بني آدمَ ، فقد قال تعالىٰ : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ [الزمر : ٦] فهٰذا في عمومِ الأزواجِ .

فالجعل هنا ليس في الإخبارِ عن أصلِ الإيجادِ ، بل المقصود أنه جعل الأنثىٰ زوجاً للذَّكرِ . فآية النِّساءِ في أصلِ الخلقِ ، بخلاف الآيتينِ الأخريينِ .

١١٨ ـ قال تعالىٰ في سورةِ النِّساءِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقال في سورةِ النِّساءِ أيضاً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] .

سؤالٌ : لماذا ختمَ الآيةَ الثامنةَ والأربعينَ بقولِهِ : ﴿ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ ، وختمَ الآيةَ الأخرىٰ بقولِهِ : ﴿ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ ؟

الجوابُ : إنَّ الآية الثامنة والأربعين في الكلام علىٰ أهلِ الكتابِ ، وفي سياقِ ارتكابِ الآثام . وأهلُ الكتابِ مطَّلعون علىٰ ما أنزله ٱلله من التَّوحيد ، ومن يشركْ باللهِ فقد افترىٰ إثماً علىٰ ٱللهِ .

ثم إن السِّياقَ فيها في ارتكابِ الآثام ، فقد جاء قبل الآية الكلام علىٰ أهلِ الكتابِ ، قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ۝٤٤ ... مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ ... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ۝٤٧ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ... ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ۝٥٠ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ... ﴾ [النساء : ٤٤ ـ ٥١] .

فقد ذكر أنهم يشترون الضَّلالة ، وأنهم يحرِّفون الكلم عن مواضعِهِ ، ويقولون : سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ، وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعناً في الدين . وقال : إنهم يفترون علىٰ ٱللهِ الكذبَ ، وكفىٰ به إثماً مبيناً . وقال : إنهم يؤمنون بالجبتِ والطاغوتِ ، ويقولون للذين كفروا : هٰؤلاءِ أهدىٰ من الذين آمنوا سبيلاً ، وغير ذٰلك . وهٰذه كلها آثامٌ ، فناسب ذٰلك فاصلةُ الآيةِ .

وأما الآية الأخرىٰ ففي أناسٍ لم يعلموا كتاباً ولا عرفوا وحياً ،

وهي في سياق الضَّلال ، فقد قال قبلَ الآيةِ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء : ١١٥] .

ونقيضُ الهدَىٰ الضَّلالُ ، فالذي يشاقُّ الرَّسول من بعدِ ما تبين له الهدىٰ إنما هو ضالٌّ .

وقال بعد ذٰلكَ علىٰ لِسانِ الشَّيطانِ : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ ... ﴾ [النساء : ١١٩] .

فناسب المقامَ قولُهُ : ﴿ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ .

جاء في (روح المعاني) : « وإنما جعل الجزاء علىٰ ما قيل هنا : ﴿ فَقَدۡ ضَلَّ ... ﴾ وفيما تقدَّم : ﴿ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ لما أن تلك كانت في أهل الكتابِ ، وهم مطَّلعون من كتبهم علىٰ ما لا يشكُّون في صحَّته من أمرِ الرَّسولِ ﷺ ، ووجوب اتِّباع شريعتِه ، وما يدعو إليه من الإيمانِ بٱللهِ تعالىٰ ، ومع ذٰلك أشركوا وكفروا ، فصار ذٰلك افتراءً واختلاقاً وجراءةً عظيمةً علىٰ ٱللهِ تعالىٰ .

وهٰذه الآية كانت في أناسٍ لم يعلموا كتاباً ، ولا عرفوا من قبل وحياً ، ولم يأتِهمْ سوىٰ رسولِ ٱللهِ ﷺ بالهدىٰ ودينِ الحقِّ فأشركوا بٱلله عزَّ وجلَّ ، وكفروا وضلُّوا مع وضوحِ الحُجَّةِ ، وسطوعِ البرهانِ ، فكان ضلالُهم بعيداً ولذٰلك جاء بعدَ تلكَ : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ ﴾ وقولُه سبحانه : ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ ﴾ .

وجاء بعدَ هٰذهِ الآيةِ : ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾ [النساء : ١١٧] » [١] .

---

(١) روح المعاني (٥ / ١٤٨) .

١١٩ ـ قال تعالىٰ في سورةِ النِّساءِ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [النساء : ١٧١] .

وقال في سورةِ المائدةِ : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ النِّساءِ (إلا الحقَّ) ، وقال في المائدةِ (غير الحقِّ) ؟

الجوابُ : لا يصحُّ أن يقال : (لا تغلوا في دينكم إلا الحقَّ) ؛ لأنَّ المعنىٰ سيكون أن من الغلوِّ حقاً ، والغلوُّ في الدِّين لا يكون حقاً بحالٍ من الأحوالِ ، بخلاف آية النِّساءِ ، فإن القولَ علىٰ ٱللهِ قد يكون حقاً ، وقد يكون باطلاً ، فصحَّ ذٰلك .

والكلام في آيةِ النِّساءِ استثناءٌ مفرَّغٌ .

وأما قولُه : (غير الحقِّ) في آيةِ المائدةِ ، فليس من الاستثناء ، وهو إما صفةٌ مؤكِّدة لمصدرٍ محذوفٍ ، أي : (غلوًّا غير الحقِّ) ؛ لأن الغلوَّ لا يكون إلا غيرَ الحقِّ .

ويجوز أن تكون (غير) حالاً ؛ أي مجاوزين الحدَّ . وجوَّز بعضهم أن يكون مستثنىً[١] ، ولا يكون ذٰلك إلا بتأويلٍ بعيدٍ .

١٢٠ ـ قال تعالىٰ في سورةِ المائدةِ : ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة : ١] .

---

(١) انظر : روح المعاني (٦ / ٢١٠) .

وقال في سورةِ الحجِّ : ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الحج : ٣٠] .

سؤالٌ : لماذا قال في المائدةِ : (بهيمةُ الأنعامِ) بذكر البهيمةِ ، وقال في (الحجِّ) : (الأنعامُ) من دونِ ذكرِ البهيمةِ ؟

الجوابُ : البهيمة اسمٌ لكلِّ ذي أربعٍ من دوابِّ البرِّ والبحرِ (١) . وإضافتُها إلىٰ الأنعامِ للبيانِ ، وهي من إضافةِ العامِّ إلىٰ الخاصِّ ، كيوم الخميسِ ، وعلمِ الفقهِ ، وشجرِ الأراكِ ، ومدينةِ بغدادَ (٢) . فالبهيمةُ عامٌّ ، وقد خصِّصتْ ، وبيِّنتْ بإضافتِها إلىٰ الأنعام .

لقد وردتْ (بهيمةُ الأنعامِ) في ثلاثةِ مواضعَ من القرآن الكريم ، وكلها في سياقِ المناسكِ والإحرام والحجِّ .

قال تعالىٰ في سورةِ المائدةِ : ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة : ١ ـ ٢] .

ووردت في سورةِ الحجِّ في سياقِ الحجِّ ، قال تعالىٰ : ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ...﴾ [الحج : ٢٧ ـ ٢٨] .

---

(١) انظر : لسان العرب (بهم) ، روح المعاني (٦ / ٤٩) .

(٢) انظر : روح المعاني (٦ / ٤٩) .

وقال في السِّياقِ نفسهِ : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ [الحج : ٣٤] .

أما (الأنعامُ) فقد ذكرتْ في سياقاتٍ متعدِّدةٍ مختلفةٍ ، كالأكلِ ، وشربِ ألبانِها ، والحملِ عليها ، والانتفاعِ بجلودِها ، والتشبيهِ بها ، وغيرِ ذٰلك .

قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾ [يونس : ٢٤] .

وقال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

وقال علىٰ لسانِ الشَّيطانِ : ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ [النساء : ١١٩] .

وقال : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

وقال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٢] .

وقال : ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل : ٥] .

وقال : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ [النحل : ٦٦] . وغيرُ ذٰلكَ وغيره .

فلما كانتِ الإضافةُ للتَّخصيصِ في قولِه : (بهيمة الأنعامِ) أي : من إضافةِ العامِّ إلىٰ الخاصِّ ، استعملها فيما هو أخصُّ ، وهو المناسكُ والحجُّ .

فخصَّص بالإضافةِ في مقام التَّخصيصِ والتَّبيينِ ، وعمَّم في مقامِ العمومِ .

١٢١ ـ قال تعالىٰ في سورةِ المائدةِ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة : ٣] .

سؤالٌ : لماذا قال في الدِّينِ (أكملتُ) ، وفي النِّعمةِ (أتممتُ) وما الفرقُ بينهما ؟

الجوابُ : التَّمام ضدُّ النَّقص ، وهو لا يقتضي الكمالَ ، فالإنسان التَّام الخلقةِ هو الذي ليس فيه نقصٌ .

فالإنسانُ إذا ولد تاماً ، فليس معناه أنه بلغ الكمال في ذٰلكَ . فكل شخصٍ له عينانِ يبصر بهما ، ورجلان يمشي بهما ، وأنفٌ وما إلىٰ ذٰلك ، هو تامُّ الخلقةِ ، كيفما كانت العينانِ ، صغيرتين أو واسعتين ، وكيفما كان أنفُه أو فمُه أو أسنانُه .

أما الكمالُ فهو الحالة المثلىٰ ؛ فالكمال أعلىٰ من مجرَّدِ التَّمامِ .

« وقيل : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي : أكملت لكم فوقَ ما تحتاجون إليه في دينكم » (١) .

فتمامُ النِّعمةِ إعطاؤه ما يحتاج إليه ، ويمكن الزيادة فيها فوقَ ما يحتاج إليه .

وأما الكمالُ فلا زيادةَ عليه ، ولذا قال : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ؛ لأنه

(١) لسان العرب (كمل) .

لا يمكن أن يزاد في الدِّين ، فقد أنزل كلَّ ما يحتاج إليه من أصلٍ وفرعٍ .

إنه يمكن الزِّيادة في النعمةِ ، ولا تمكن الزيادة في الدِّينِ .

ولم يستعملِ القرآنُ مع النعمةِ إلا الإتمامَ ، ولم يستعملِ الكمالَ أو الإكمالَ . قال تعالىٰ : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، وقال : ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [يوسف : ٦] ، وقال : ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ [النحل : ٨١] .

وقيل : كمالُ الدِّين كمال سلطانِه وتمكينِه وحفظِه .

وإتمامُ النِّعمةِ زوالُ ما كانوا يلقونه من الخوفِ ، وهو من إتمام النِّعمةِ ، وما ذكرناه أولىٰ وأظهرُ .

١٢٢ ـ قال تعالىٰ في سورةِ المائدةِ : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [المائدة : ٣٢] .

وقال في سورةِ الأعرافِ : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ المائدةِ : ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ بإضافةِ الرُّسلِ إلىٰ ضميرِه سبحانه ، وقال في آيةِ الأعرافِ : ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴾ بإضافةِ الرُّسلِ إليهم ؟

الجوابُ : آية المائدةِ فيما شرع ٱلله ، والأحكامُ التي جاءت بها الرُّسلُ من عنده ، فأضافهم إليه . قال تعالىٰ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا

بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾
[المائدة : ٣٢] .

وذكر بعد ذلك أحكاماً شرعها اللهُ ، جاءت بها رسلُه ، فقال :
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣ ـ ٣٤] .

فشرع الحكمَ في الدنيا ، وقرَّر الحكمَ في الآخرةِ ، وأعلمهم بمنْ تابَ .

أما في الأعرافِ ، فالكلام على أهلِ القرى ، وموقفِهم من رسلهم ، مع أنهم جاؤوهم بما ينفعهم . ولقد ذكر ما فيه خيرُهم لو أطاعوهم ، وما سيصيبُهم لو خالفوهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾
[الأعراف : ٩٦ ـ ٩٩] .

ثم قال : ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ... ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

فلمَّا كان الكلام على أهلِ القرى ، أضاف الرُّسلَ إليهم ، فقالَ :
﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ .

ولما كان الكلام على الله وشرعه أضاف الرُّسلَ إليه ، فقالَ : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

١٢٣ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعام : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام : ٧ ـ ٩] .

سؤالٌ : لماذا قال أولاً : (نزلنا عليك) ، وقال بعدها (أنزلنا) ؟

الجوابُ : (فعّل) أهمُّ وآكد من (أفعل) ، وذٰلك نحو (وصَّى) و(أوصىٰ) ، وكرَّم وأكرم[1] .

وتنزيل القرطاسِ إما أن ينزل بنفسه ، حتَّىٰ يصل إلىٰ الرَّسولِ ، وهو عجب ، أو يكون بإنزال ملك به إليه ، وهو أهمُّ وأعجب من إنزالِ الملكِ وحدَه ؛ وذٰلك لأن إنزال القرطاسِ إنما هو إنزالُ قرطاسٍ وملكٍ .

ولذا قالوا فيه : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ، ولم يقولوا نحو ذٰلك في إنزالِ الملكِ .

ثم لو جعله ملكاً لجعله رجلاً فيلتبس عليهم الأمر ، فقال : (نزّلنا) في القرطاسِ ، و(أنزلنا) في الملكِ . فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

١٢٤ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعام : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام : ١٠] .

---

(١) انظر : (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) ـ باب فعَّل وأفعل بمعنىٰ (٦٣ وما بعدها) .

سؤالٌ : لماذا قال أولاً : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ ﴾ بلفظِ الاستهزاءِ ، ثم قال : ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم ﴾ بلفظِ السخريةِ ؟ وهل هناك فرق بين الاستهزاءِ والسخريةِ ؟

الجوابُ : الاستهزاء هو الاستخفافُ والاستحقارُ والاستهانةُ والتنبيهُ علىٰ العيوبِ والنقائصِ علىٰ وجهٍ يضحك منه ، وقد يكون ذٰلك بالمحاكاةِ في الفعلِ والقولِ والإشارةِ والإيماءِ[1] .

وذكر في الفرقِ بين الاستهزاءِ والسُّخريةِ أن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجلِه .

والسُّخرية تدل علىٰ فعلٍ يسبق من المسخور منه[2] .

قال تعالىٰ في سيِّدنا نوحٍ : ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ [هود : ٣٨] .

وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٩] وهٰذا سخرٌ علىٰ فعلٍ .

ولم ترد السُّخرية في القرآنِ إلا من الأشخاص ، قال تعالىٰ : ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ وقال : ﴿ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ وقال : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقال : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة : ٢١٢] .

---

(١) روح المعاني (١ / ١٥٨) .

(٢) انظر : الفروق اللغوية (٢٦٨) .

أما الهزؤ فعامٌّ من الأشخاصِ والأعمالِ وغيرِها . قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة : ٦٥] وقال : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا ﴾ [المائدة : ٥٨] وقال : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ [الجاثية : ٩] .

فذكر الاستهزاء والسخرية ؛ ليشمل الجميع من الأفعالِ والأشخاصِ ، وما سبق منهم من فعلٍ ، وما لم يسبق .

١٢٥ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعام : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٧] .

وقال في سورةِ مريم : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٥] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ الأنعام : ﴿ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ بإضافةِ العذاب إلىٰ ٱلله ، وقال في مريمَ : ﴿ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فجعل العذاب من الرَّحمـٰنِ ، ولم يذكر لفظَ الجلالةِ ، فيقول (من ٱلله) ؟

الجوابُ : التَّحذير في آيةِ الأنعامِ أشدُّ من أوجهٍ :

١ ـ فقد قال : (أرأيتكم) فجاء بحرفِ الخطابِ (كم) مع ضميرِ الخطابِ ، وهـٰذا يفيد التَّوكيد ، والزيادة في التنبيهِ . فإن (أرأيتكم) أشدُّ من (أرأيتم) (١) .

٢ ـ وقال في الأنعام : ﴿ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ ، وقال في مريمَ : ﴿ يَمَسَّكَ عَذَابٌ ﴾ ، والإتيانَ أشدُّ من مجرَّد المسِّ الذي يكفي في حقيقته اتِّصالٌ ما .

---

(١) انظر : معاني النحو (٢ / ١٦ وما بعدها) .

٣ ـ وقال في مريمَ : ﴿ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فنكَّرَ العذابَ ، وجعله من الرَّحمـٰن ؛ أي : المتَّصف بالرَّحمةِ . في حين قال في الأنعامِ : ﴿ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ فأضافه إلىٰ ٱلله .

٤ ـ وقال في الأنعامِ : ﴿ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ زيادةً في التَّحذيرِ والتَّهديدِ ، ولم يقل مثل ذٰلك في مريمَ .

٥ ـ وقال في الأنعام : ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ فجعل العذابَ مهلكاً مستأصلاً لهم ، ولم يقل مثل ذٰلك في مريمَ ، فإنه لا تُناسبُ الرَّحمةُ الإهلاكَ والاستئصالَ .

٦ ـ لم يردْ في القرآنِ : (يمسّك عذاب من ٱلله) . كما لم يردْ : (عذاب الرَّحمـٰن) بإضافةِ العذابِ إلىٰ الرَّحمـٰنِ . إنما ورد فيما ورد مضافاً إلىٰ ٱللهِ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] ، وقوله : ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ١٠٧] .

٧ ـ كما أنَّه لم يردْ في الأنعامِ اسم (الرَّحمـٰن) ، وقد ورد فيها لفظُ (ٱللهِ) زهاءَ سبعٍ وثمانينَ مرةً . فناسبَ لفظُ (ٱللهِ) السِّمة التَّعبيريةَ لسورةِ الأنعامِ .

كما ناسبَ لفظُ (الرَّحمـٰنِ) السِّمةَ التَّعبيريةَ لسورةِ مريمَ ؛ التي تشيع فيها الرَّحمة من أولها إلىٰ آخرها ، وتكرر فيها لفظ الرَّحمـٰن ستَّ عشرة مرةً ، ولا تدانيها سورة في إشاعةِ الرَّحمةِ ، فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعَه ، من أكثرِ من وجهٍ .

١٢٦ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعامِ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

وقال في سورةِ يوسفَ : ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٤] .

سؤالٌ : لماذا قال في الأنعامِ (أجراً) ، وقال في يوسفَ : (من أجرٍ) ؟

ولماذا قال في الأنعامِ (ذكرىٰ) ، وقال في يوسفَ : (ذكرٌ) ؟

الجوابُ :

١ ـ (الذِّكر) أعمُّ من (الذكرىٰ) ، فإن (الذكر) يكون بمعنىٰ التَّذكيرِ والموعظةِ ، ويكون بمعنىٰ الحفظِ للشَّيءِ ، ويكون بمعنىٰ الشَّرف ، وله معانٍ أخرىٰ (١) .

أما (الذِّكرىٰ) فإنها بمعنىٰ التَّذكير ، فهي بعض معاني الذكرِ . ولما كان الذِّكر أعمَّ ناسب ذٰلك قولَه : (من أجرٍ) بـ(من) الدَّالة علىٰ الاستغراقِ والعموم والتَّوكيدِ . وناسبتِ الذِّكرىٰ قولَه : (أجراً) الذي هو أقل عموماً وتوكيداً من قوله : (من أجرٍ) .

٢ ـ إنَّ من معاني (الذِّكر) ـ كما ذكرنا ـ الحفظَ للشَّيءِ ، وناسب ذٰلك ذكره بعد قصةِ يوسفَ ؛ الذي حفظه ربُّنا من كلِّ كيدٍ .

ومن معانيه الشَّرف ، والصِّيت ، وناسب ذٰلك ذكره بعد قصةِ يوسفَ ؛ الذي أصبح له الشَّرف والصِّيت .

٣ ـ إن آيةَ الأنعام واحدة في سياقِها ، وهي قولُه سبحانه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

---

(١) انظر : لسان العرب (ذكر) .

وبعدها أمر آخر ، وذلك قولُه : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ...﴾ [الأنعام : ٩١] وما قبلها في الرُّسلِ الآخرينَ .

أما السِّياق في يوسفَ ، فهو سياق رسالةِ الإسلامِ ، وهو أكثر إفاضةً وتوسعاً في سياقِه .

قال تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : ١٠٢ ـ ١٠٨] .

والتَّوسُّع في السِّياق والإفاضةِ فيه يدلُّ علىٰ الاهتمام بهِ وتوكيدِه فناسب ذلك إدخال (من) الاستغراقية ؛ للدّلالة علىٰ الشُّمولِ والاستغراقِ ، وتوكيدِ ما دخلت عليه .

وإضافةً إلىٰ هٰذا ، إن قوله : ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ أكثر عدداً في الحروف من قوله : (أجراً) فناسبت السَّعةُ السَّعةَ والإيجازُ الإيجازَ . فكانت المناسبة من أكثر من وجهٍ .

٤ ـ قولهُ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني أنه تذكير لهم ، وأنه حفظٌ لهم من الضَّياع والانحلالِ والانحطاطِ والهلاكِ ، وأنهُ شرفٌ لهم ، فلا يحيون كحياةِ البهائمِ .

وهٰذه المهمَّة شاقة علىٰ الرَّسول ، وهي أشقُّ من مجرَّدِ التَّذكيرِ ، فلربما ظنَّ ظانٌّ أن ذٰلك يستدعي طلب الأجرِ علىٰ هٰذه المهمَّةِ ، فنفىٰ ذٰلك علىٰ سبيلِ الاستغراقِ ، والتوكيدِ .

وليس السِّياق كذٰلك في الأنعامِ ، فإن الذِّكرىٰ إنما هي جزء من الذِّكر كما ذكرنا ، فناسبَ كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

١٢٧ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعامِ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وقال في سورةِ الكهفِ : ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٤٨] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ الأنعامِ : (فرادىٰ) ، ولم يقل مثل ذٰلك في الكهفِ ؟

ولماذا قال في آيةِ الأنعامِ : ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ ، ولم يقل مثلَ ذٰلك في الكهفِ ؟

الجوابُ : إن آية الأنعامِ إنما هي لما يحصل في الدنيا من موتِ الأنفسِ ، فقد قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] والناس يموتون فرادىٰ ، ويرجعون إلىٰ ربِّهم .

أما آية الكهفِ فهي في الآخرةِ ، يوم يجمع ٱلله الخلائقَ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ... وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى

ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف : ٤٧ ـ ٤٩]

فلا يناسب أن يقال : (فرادىٰ) فقد جاؤوا كلهم للحسابِ .

وكذٰلك قوله في الأنعام : ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ﴾ ، إنما ذٰلك في الدنيا ، فقد تركوا المال للورثةِ . ولم يقل مثل ذٰلك في الكهفِ ؛ لأنه لم يبق شيءٌ مما كان في الأرضِ ، فإن الأرض تحمل وتنسف : ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة : ١٤] .

فلا يناسب ذٰلك ذكره فيها ، فناسب كلُّ تعبيرٍ مكانه ؛ الذي هو أليقُ بهِ .

١٢٨ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعام : ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام : ١٠٠] .

سؤالٌ : لماذا قال : (وخرقوا) ولم يقل : (اختلقوا) ؟

الجوابُ : اختلق وخرق بمعنىٰ ، لٰكن في (خرق) معنىٰ الفسادِ والحمقِ إضافةً إلىٰ معنىٰ الاختلاقِ ، وهو الكذب والافتراء ، فإن الخرق قطع الشَّيء على سبيلِ الفسادِ ، من غير تدبرٍ ولا تفكيرٍ ، ورجل أخرق : لا يقدِّر ، ولا يحسن العمل ، والخُرق الجهل والحمق ، والأخرق الجاهل[1] .

وهو أنسب تعبيرٍ لمن قال بذٰلك ، ووصفه بذٰلك سبحانه وتعالىٰ عما يصفون .

(١) انظر : تاج العروس (خرق) .

١٢٩ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعام : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٠] .

وقال في الزُّمَرِ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ الأنعام : ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ وقال في الزُّمَرِ : ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ ﴾ ؟

الجواب : ذكرنا هٰذا السُّؤال في الجزء الأوَّلِ من كتابِ (أسئلةٍ بيانيةٍ) ، وقد أجبنا عنه ، وقد أثير الآن مرة أخرىٰ ، وسنجيب عنه من جانبٍ آخرَ ، غيرِ ما ذكرناه في الجزء الأولِ ، فنقول :

إن القصَّة معناها الخبر ، وقصَّ عليه خبره ، أي : أورده ، قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ [القصص : ٢٥] .

ومعنىٰ (تلا) قرأ ، وتلوت القرآن قرأته[١] . فالتِّلاوة تكون لنصٍّ يُقرأُ ، سواءٌ كان من كتابٍ ، أم كان عن حفظٍ .

ومعنىٰ (يقصون) : يوردون عليكم الأخبار ، وهٰذه الأخبار قد تكون من كتبٍ أو نصوصٍ ، أو إخباراً من دونِ صحفٍ . فقوله :

(١) انظر : لسان العرب (تلو) .

(يقصون) أعمُّ ؛ لأنه يشمَل كلَّ ما يخبر به ، سواء كان من صحفٍ ، أم من دونِ صحفٍ ، وسواء كان تلاوةً أم لا .

إن قوله : (يقصون) يشمل جميع الرُّسلِ من أُنزلت عليهم الكتب ، ومن لم تنزل عليهم . وأما قوله : (يتلون) فهو أخصُّ ؛ لأنه يخصُّ من أنزلت عليه صحف فيتلوها .

فلمَّا ذكر معشر الجنِّ والإنسِ في الأنعام ، وهو أعمُّ جمعٍ ، ناسب ذٰلك قولَه : (يقصون) ؛ لأنه أعمُّ . وقد قال قبل هـٰذه الآيةِ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الأنعام : ١٢٨] أي : الإنسُ والجنُّ .

وقال بعد هـٰذهِ الآيةِ : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣١] فذكر عمومَ القرىٰ المهلكةِ ، مما يدلُّ علىٰ أنه يشمَل جميعَ الرُّسلِ : من أنزلت عليه صحف أو كتب ، ومن لم تنزل .

وأما في الزُّمَر ، فإنها أخصُّ ؛ لأنه يقال ذٰلك للزمرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾ أي : لكلِّ زمرةٍ . فناسب ذكر ما هو أخصُّ وهو التلاوة .

١٣٠ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعام : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .

وقال في سورةِ الكهفِ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف : ٥٧] .

سؤالٌ : ما الفرق بين قولِهِ : (وصدف عنها) وقولِه : (فأعرض عنها) ؟

الجوابُ : الصَّدَف كل شيءٍ مرتفع عظيم ، كالحائطِ والجبلِ .

والصَّدَف الجبل المرتفع ، والصَّدف جانب الجبلِ ، وفي التنزيل في قصَّةِ ذي القرنينِ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ ﴾ [الكهف : ٩٦][1] .

وصدف عنها معناه : أعرض إعراضاً شديداً ، وهو في الصَّلابة كصدفِ الجبلِ ، أي : جانبه[2] .

والسِّياق في آيةِ الأنعام يوضِّح هٰذا الإعراضَ الشَّديدَ ، فقد قال في آيةِ الأنعام : ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ ﴾ . فذكر التَّكذيب والإعراض الشَّديدَ ، فقد قال في الكهفِ : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾ فذكر التَّذكيرَ والإعراضَ ، ولم يذكر التَّكذيبَ .

ونحو ذٰلك قال في سورةِ السَّجدةِ ، فقد قال : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] . فذكر التَّذكيرَ ثمَّ الإعراضَ ، في حين ذكر التَّـكذيبَ والإعراضَ في الأنعامِ فكان ذٰلك أشدَّ .

ثم إن الجزاء أشدُّ في الأنعام ، فقد قال : ﴿ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴾ ولم يقل مثل ذٰلك في آيتي الكهفِ والسَّجدةِ .

وممَّا يبيِّن ذٰلك أيضاً قولُه بعد آيةِ الأنعامِ : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] مما يبين شدَّة الإعراض في حين لم يذكر مثل ذٰلك في الموضعين الآخرين ، فقد قال

---

(١) انظر : لسان العرب (صدف) .

(٢) انظر : مفردات الراغب (صدف) .

بعد آية الكهف : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ [الكهف : ٥٨] .

وقال بعد آيةِ السَّجدةِ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ [السجدة : ٢٣] مما يبيِّن شدَّةَ الإعراضِ في الأنعام ، فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

١٣١ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعام : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

وقال في سورةِ التَّوبةِ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ الأنعامِ : ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ بكسر القافِ ، وفتح الياءِ .

وقال في آيةِ التَّوبةِ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ بتشديد الياءِ كالسَّيِّدِ ، وما الفرق بينهما ؟

الجوابُ : (القِيَم) بكسر القاف وفتح الياء مصدر كالصِّغَر والكِبَر ، ومعناه الاستقامة ، وقد نعت به مبالغة[1] ، وأما (القيِّم) فهو صفة مشبهة ، أو مبالغة ، ومعناه المستقيم ، أي : المعتدل لا إفراطَ فيه ، ولا تفريط .

وقيل : هو القيِّم علىٰ سائرِ الكتبِ السَّماويةِ الأخرىٰ شاهداً

(١) انظر : لسان العرب (قوم) ، روح المعاني (٨ / ٧٠) .

بصحتها ، وقيِّم علىٰ مصالح العباد متكفل ببيانها لهم ، وأنه كامل بنفسه مكمِّل لغيره .

والقيِّم السَّيِّد وسائس الأمرِ . وقيِّم القومِ ؛ الذي يقوِّمهم ويسوس أمرَهم[١] .

ومن المعلوم أن النعت بالمصدرِ أبلغ من النعتِ بالوصفِ ، وهو المناسب في سياقه ؛ ذٰلك أنه وصف الدِّين بالصراطِ المستقيمِ ، وأنه ملَّة إبراهيم حنيفاً ، ثمَّ أمره أن يقول : إن صلاته ونسكه ومحياه ومماته للهِ ربِّ العالمينَ ، فجعل كلَّ شيءٍ في حياته للهِ ربِّ العالمين ، وأن محياه ومماته للهِ ربِّ العالمين ، وأنه لا شريك له وأنه ربُّ كلِّ شيءٍ ، فقد قال بعد هـٰذهِ الآيةِ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ـ ١٦٤] فناسب هـٰذه السَّعةَ الوصفُ بالمصدرِ .

ثم إنه وصفه بالاستقامةِ مرَّتين : مرةً بالوصفِ ، فقال : ﴿ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ، ومرةً بالمصدرِ ، فقال : ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ ، وذٰلك لتوكيدِ وصفهِ بالاستقامةِ ، والمبالغةِ في ذٰلك ، فناسب تكرارُ الوصفِ بالاستقامةِ الوصفَ بالمصدرِ .

بل إنه قيل : إن من معاني (الحنيف) المستقيم[٢] ، فيكون وصفه بالاستقامةِ ثلاثَ مرات في الآيةِ : وهي قولُه : (إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ) وقولُه : (حنيفاً) وقولُه : (ديناً قيماً) . فناسب ذٰلك الوصفُ بالمصدر للمبالغةِ .

---

(١) انظر : لسان العرب (قوم) .

(٢) انظر : لسان العرب (حنف) .

هٰذا علاوةً علىٰ الزيادةِ في التَّوكيد في قولِه : (إنني) فجاء بنون الوقاية مع (إن) ، ولم يقل : (إني) ، وذٰلك للزيادةِ في التَّوكيدِ[١] .

وأما آية التوبةِ فقد ذكر فيها ما يتعلق بعدَّةِ الشهورِ ، والأشهرِ الحرمِ ، وحكمِ القتالِ فيهنَّ . وذٰلك جزء مما ورد في سورةِ الأنعامِ الذي شملَ الحياةَ كلَّها ، والعبادةَ كلَّها .

فلمَّا كان السِّياق في الأنعامِ أعمَّ وُصفَ بالمصدرِ . ولما كان ما في التوبةِ جزءاً من ذٰلك ، وُصفَ بالوصفِ وهو الصِّفة المشبَّهة .

هٰذا علاوةً علىٰ أن هناك قراءةً متواترةً أخرىٰ في آية الأنعامِ وهي : (ديناً قيِّماً) بالصِّفة المشبَّهة علىٰ وزن (سيِّد) [٢] .

فجمعت القراءتان النَّعت بالوصفِ وبالمصدرِ ، كما جمعت الآية النعتَ بالوصفِ وبالمصدرِ في قوله : ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ، وقوله : (حنيفاً) وقوله : (ديناً قيماً) .

وكما جمع السِّياق في الأنعامِ كلَّ أمورِ الحياةِ والمماتِ . فكان كلُّ تعبيرٍ أنسبَ في سياقِهِ .

١٣٢ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنعامِ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

وقال في سورةِ فاطرِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٣٩] .

---

(١) انظر : معاني النحو (١ / ٣٨٨) .

(٢) انظر : النشر في القراءات العشر (٢ / ٢٦٧) .

سؤالٌ : لماذا قال في سورةِ الأنعام : ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالإضافةِ ، وقال في فاطرٍ : ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بذكرِ (في) ؟

الجوابُ : قولُه : ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالإضافةِ أعمُّ من قوله : ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ . فقولك مثلاً : (هو ملكُ بلادِ الشَّامِ) أعم من قولك : (هو ملك في بلاد الشام) ؛ لأن هـٰذا يحتمل أنه ملك في بعضِ بلادِ الشَّامِ .

وقولك : (هو ملكُ الأرضِ) أعمُّ من قولك : (هو ملكٌ في الأرضِ) .

وقد ناسب العمومُ في قوله : ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ في الأنعام العمومَ في السِّياقِ ، فقد قال سبحانه : ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ـ ١٦٣] .

وهو أعمُّ شيءٍ في حياةِ الفردِ :

١ ـ فقد جعل كلَّ شيءٍ من عبادته وحياته ومماته للهِ ربِّ العالمين .

٢ ـ ثم إن قوله : ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عامٌّ يشمَل جميعَ المخلوقاتِ ، فهو ربُّ العالمين جميعاً .

٣ ـ وكذٰلك قوله : ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ فنفىٰ كلَّ شريكٍ له ، فقد استغرق نفي الشُّركاءِ علىٰ العمومِ .

٤ ـ ثم قال بعدها : ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

فقد ذكر أنه ربُّ كلِّ شيءٍ فليس ثمةَ شيء إلا هو ربُّه ، فناسب العمومُ العمومَ .

وليس السِّياق كذٰلك في فاطرٍ ، فقد قال : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [فاطر : ٣٩] فقال : ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ بالإفرادِ .

وليس السِّياق فيها بمثلِ ذٰلكَ العمومِ . فناسبَ كلُّ تعبيرٍ مكانَه .

جاء في (ملاك التأويل) : « قد تقدَّم قبل آيةِ الأنعامِ قولُه سبحانه لنبيِّه ﷺ : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام : ١٦١] واستمرَّ الخطاب له معرباً عن حالِه ، وواضحِ طريقِه إلىٰ قوله : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام : ١٦٤] فعمَّ ما سواه سبحانه بالدخول تحت ملكِه وقهرِه ، فناسب هٰذا ما ذكر من إنعامه علىٰ عباده بجعلهم خلائفَ الأرضِ . ولو كان بحرفِ الوعاءِ لم يكن ليفهم التَّوسعة في الاستيلاءِ والإطلاقِ إلا بضميمٍ يحرز ذٰلك ؛ لأن قوله : ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إنما يفهم أنها موضعُ استخلافِهم ، وهل كلها أو بعضها ؟ ذٰلك محتمل »(١) .

١٣٣ ـ قال تعالىٰ في الأعرافِ في ثمودَ : ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف : ٧٤] .

وقال فيهم في الشُّعراءِ : ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء : ١٤٦ ـ ١٥٠] .

سؤالٌ : لماذا قال في الأعرافِ : ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ ، وقال

---

(١) ملاك التأويل (١ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩) .

في الشُّعراءِ : ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ؟

الجوابُ : إن قوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ يدل علىٰ التَّوسعِ في العمرانِ ، فكأنهم ينحتون الجبال كلها بيوتاً ، أي : يجعلونها بيوتاً ، و(بيوتاً) حال .

وأما قوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ فمعناه : أنهم يتخذون منها بيوتاً ، ولا يدلُّ ذٰلك علىٰ الكثرة ، ويصحُّ أن يقال ذٰلك ، ولو كان العدد قليلاً ، بخلافِ ما في الأعرافِ . وكلُّ تعبيرٍ موافقٌ لسياقِهِ .

فإن السِّياق في الأعرافِ يدل علىٰ التَّوسعِ في العمرانِ ، يدلُّ علىٰ ذٰلك قولُه : ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله : ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ وقوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ .

فشمل العمران السُّهولَ والجبالَ ، فيتخذون من السُّهولِ قصوراً وينحتون الجبال بيوتاً . فناسب قوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ سياقَ التَّوسعِ في العمرانِ .

وأما في الشُّعراءِ فالسِّياقُ يدلُّ على كثرةِ الزِّراعةِ ، وهو أدلُّ عليها من العمرانِ ، يدلُّ علىٰ ذٰلك قولُه في الشُّعراءِ : ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ وقوله : ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ . ولم يرد نحو ذٰلك في الأعرافِ .

فلم يبالغ في ذكرِ العمرانِ والتَّوسعِ فيه كما فعل في الأعرافِ . فناسب كلٌّ موضعَه .

وقد تقول : ألا يدلُّ ذٰلك علىٰ الاختلافِ والتَّناقضِ في الإخبارِ ؟ ثم أي الأمرين أصحُّ ، ما جاء في الأعرافِ ، أم ما جاء في الشُّعراءِ ؟

والجوابُ : كلاَّ ليس في الأمر تناقضٌ ولا اختلافٌ ، فقوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ لا يناقض ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ .

فإنهم علىٰ كلِّ حالٍ ينحتون من الجبال بيوتاً ، ولـٰكنه أفاض في ذكرِ ناحيةِ العمرانِ في الأعرافِ ، وأفاض في ذكرِ الزِّراعةِ في الشُّعراءِ ، كما نفعل نحن ـ ولله المثل الأعلىٰ ـ حين نصف الأماكنَ فقد نركِّز علىٰ أمرٍ في سياقٍ ، ونركِّز علىٰ أمرٍ آخر في مناسبةٍ أخرىٰ . وكلُّ ذٰلك صحيحٌ .

١٣٤ ـ قال تعالىٰ في الأعرافِ : ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

وقال في يونسَ : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس : ٧٤] .

سؤالٌ :

١ ـ لماذا قال في الأعرافِ : ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن﴾ . وقال في يونسَ : ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن﴾ فزاد (به) علىٰ ما في الأعرافِ ؟

٢ ـ لماذا اختلفت خاتمة كلٍّ من الآيتينِ ، فقال في الأعرافِ : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . وقال في يونسَ : ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ فذكر الكافرين في الأعرافِ ، وذكر المعتدين في يونسَ ؟

الجوابُ :

١ ـ أما الجواب عن السؤالِ الأوّلِ ، فقد ذكرناه في كتابنا (التعبير

القرآني) في باب الذكر والحذف ، فلا نعيد الكلام فيه . وقد ذكرنا هناك أن الإطلاق هو سياقُ الأعرافِ ، وأن التَّخصيص هو سياق آيةِ يونسَ ، وقد بينا ذٰلك ثَمَّ .

٢ ـ وأما الجوابُ عن السؤالِ الثاني ، فإن قوله في الأعرافِ : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مناسب لما تقدَّم من قوله سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

فناسب ذكرُ الكافرين بمقابلِ قولِه : ﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ فإن الكفر مقابلُ الإيمانِ ، ومناسبٌ لما قاله سيدنا شعيبٌ في قومِه قبل هٰذه الآياتِ : ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف : ٩٣] فناسب ذٰلك ذكرُ الكافرينَ أيضاً .

وأما في يونسَ ، فقد تقدَّم الآية ذكر قوم نوح ، وقد قال ٱلله فيهم : ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس : ٧١] .

فقوله : ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ وقوله : ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ يعني : للاعتداءِ عليه بأن يجمعوا أمرهم وشركاءهم ، وأن يقضوا إليه ، ولا يمهلوه . فناسب ذٰلك ذكرُ المعتدينَ .

١٣٥ ـ قال تعالىٰ في الأعرافِ : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف : ١٠٣] .

وقال في يونسَ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس : ٧٥] .

سؤالٌ : قدَّم (بآياتنا) في الأعراف على قوله : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ . وأخَّر (بآياتنا) في يونسَ عن قوله : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ فما السببُ ؟

الجوابُ : لقد ذكر أنه أظهر الآيات أمام فرعونَ وملئه في الأعرافِ ، وأظهرها أمام السَّحرة أيضاً . فقد قال له فرعون : ﴿ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ... ﴾ [الأعراف : ١٠٦ ـ ١٠٩] ثم ذكر إلقاءَ العصا أمام السَّحرةِ ، ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٧] .

أما في يونسَ ، فلم يذكر أنه أظهر آيةً أمام فرعونَ وملئِه ، وإنما قال : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس : ٧٦] .

كما لم يذكر أنه أظهر آيةً أمام السَّحرة ، وإنما قال : ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٨٠ ـ ٨١] . ولم يذكر أنه ألقىٰ العصا ، وأنها تلقف ما يأفكون .

فلمَّا لم يكن الاهتمام بذكرِ الآيات في يونسَ ، كما في الأعرافِ أخَّرها بخلاف ما ورد في الأعرافِ . فناسبَ كلُّ تعبيرٍ موضعه .

١٣٦ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأعرافِ : ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٧١] .

سؤالٌ : لماذا قال : (واقع بهم) ولم يقل : (واقع عليهم) ؟

الجوابُ : إن معنىٰ : (وقع به) غير معنىٰ : (وقع عليه) .

فمعنىٰ : (وقع عليه) سقط عليه . وأما (وقع به) فتقال في الحربِ . يقال : (وقع بهم) ، و(أوقع بهم) ، وذٰلك في الحربِ ، أي : صدمهم في الحربِ صدمةً بعد صدمة ، وسطا وبالغ في قتالهم[1] .

والمعنىٰ أنهم ظنوا أن الجبل سينزل بهم وقيعةً ، وأنه سيقاتلهم ويحاربهم ، وهو المناسب لقوله : (نتقنا) وهو القلع ، فمعنىٰ النتق إنما هو الجذب والزعزعة والاقتلاع ، ومعناه أيضاً : أن يقلع الشيء ، فيرفعه من مكانه ليرميَ به[2] . فاتّضحَ المعنىٰ .

١٣٧ ـ سؤالٌ : قال تعالىٰ في سورةِ التوبةِ : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ٢٦] .

وقال في سورةِ الفتحِ : ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح : ٢٦] بإضافةِ السَّكينةِ إلىٰ ضميرِه سبحانه (سكينته) .

وقال في سورةِ الفتحِ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح : ٤] . بتعريفِ السَّكينةِ بأل . فلمَ ذاك ؟

الجوابُ : حيث ذُكِرَ الرَّسولُ ﷺ ، أو كان موجوداً في السِّياق ، قال : (سكينته) بإضافةِ السَّكينةِ إلىٰ ضميره سبحانه ؛ تعظيماً وتكريماً له . وحيث ذكر المؤمنين ولم يذكر الرَّسول ﷺ أطلق السكينة ، ولم يضفها إلىٰ نفسِهِ .

---

(١) انظر : لسان العرب (وقع) ، تاج العروس (وقع) .

(٢) انظر : لسان العرب (نتق) .

قال تعالىٰ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة : ٤٠] .

وقال : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة : ٢٦] .

وقال : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح : ٢٦] كلُّ ذٰلك بالإضافةِ إلىٰ ضميرِهِ سبحانه .

في حين قال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح : ٤] .

وقال : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ١٨] فاتَّضح مقامُ كلِّ تعبيرٍ من التَّعبيرينِ .

١٣٨ ـ قال تعالىٰ في سورةِ هودٍ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود : ٣٥] .

وقال في سورةِ سبأ : ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ : ٢٥] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ هودٍ : ﴿مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ بنسبة الإجرامِ إليهم ، وقال في (سبأ) : ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بنسبةِ العملِ إليهم ؟

الجوابُ : في آيةِ هودٍ نسبوا الافتراءَ إليه ﷺ ، قال تعالىٰ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ . فقال لهم : ﴿ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ أي : عقوبته

وإثمه ، وإن لم يكنِ الأمرُ كذلك ، فإنهم أجرموا بحقِّهِ في نسبةِ الافتراءِ إليه ، وهو بريءٌ من إجرامِهم .

ويحتملُ أن يكون قوله : ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾ تقريرَ أمرٍ ؛ أي أنتم نسبتم الافتراءَ إليَّ ، والحال أني بريءٌ من ذلك ، ومما تفعلونه من إجرامٍ .

جاء في (الكشافِ) : « والمعنىٰ إن صحَّ وثبتَ أني افتريته فعليَّ عقوبةُ إجرامي ؛ أي افترائي . ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ﴾ يعني : ولم يثبت ذلك وأنا بريءٌ منه ، ومعنىٰ ﴿مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾ من إجرامكمْ في إسنادِ الافتراءِ إليَّ فلا وجهَ لإعراضكمْ ومعاداتكم »[1] .

وأما في آيةِ سبأ ، فهم لم ينسبوا إليه إثماً أو شيئاً ، وإنما هي من بابِ الإنصافِ . وقد قال قبلها : ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ : ٢٤] .

جاء في (الكشَّافِ) في قوله : ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ : « هٰذا من الكلام المنصفِ ؛ الذي كلُّ ما سمعه من موالٍ أو منافٍ قال لمن خوطب به : قد أنصفك صاحبُك »[2] .

وقال في قولِه : ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ : « هٰذا أدخل في الإنصافِ وأبلغ من الأوّلِ ؛ حيث أسند الإجرام إلىٰ المخاطِبين (بكسرِ الطاءِ) ، والعمل إلىٰ المخاطَبين »[3] .

---

(١) الكشاف (٢ / ٩٧) .

(٢) الكشاف (٢ / ٥٦٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢ / ٥٦٢) .

١٣٩ ـ قال تعالىٰ في سورةِ هودٍ : ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود : ١٠٨] .

سؤالٌ : ذكر ربُّنا أنَّ أهل الجنةِ خالدون فيها إلا ماشاء ربُّك ، فهل يعني ذٰلك أن ربَّنا قد يخرجهم منها ؟

الجوابُ : إن أهل الجنة خالدون فيها أبداً ، كما أخبر ربُّنا في مواطنَ عدةٍ من القرآنِ الكريمِ . وأما الآية المذكورةُ ، فقد ذُكِرَ فيها أقوالٌ منها :

أن الاستثناءَ عندما كان من أهل الجنةِ في الموقفِ يومَ الحسابِ ، قبل أن يحاسبوا ويُقضىٰ لكلِّ فردٍ بجزائه ، فالذين سعدوا لم يدخلوا الجنةَ بعدُ .

ومنها : أن ذٰلك الاستثناء إنما هو في البرزخِ عندما كانوا في قبورِهم .

ومنها : أن ذٰلك تَحِلَّةُ القسمِ ؛ إذ قال ربُّنا : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧١ ـ ٧٢] .

وذٰلك عندما يوضعُ الجسرُ علىٰ متنِ جهنَّمَ ، ويمرُّ عليه الناسُ أجمعون ، فهٰذا يدخلُ في الاستثناءِ .

وقيل : إن ذٰلك فيمن يدخلُ النارَ من عصاةِ المسلمين ، ثم يخرجون منها إلىٰ الجنةِ . وقيلت في ذٰلك أقوالٌ أخرىٰ[1] ، واللهُ أعلمُ .

١٤٠ ـ قال تعالىٰ علىٰ لسانِ سيدنا يوسفَ لأبيه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ

---

(١) انظر : روح المعاني (١٢ / ١٤٤) ، فتح القدير (٢ / ٥٠٠) .

﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف : ٤] .

سؤالٌ :

١ ـ لماذا عبَّرَ عن الإخوةِ بالكواكبِ ولم يعبِّرْ عنهم بالنجومِ ؟

٢ ـ ولماذا قدَّم الكواكبَ علىٰ الشَّمسِ والقمرِ ؟

الجوابُ :

١ ـ عبَّرَ عن الإخوةِ بالكواكبِ ؛ لأن الكواكب توابعُ بخلافِ النجومِ ، وهٰؤلاء الإخوة إنما هم توابعُ لوالديهم .

٢ ـ وأما تقديمُ الكواكبِ علىٰ الشَّمسِ والقمرِ ؛ فلأن المقامَ مقامُ تعظيمٍ ليوسفَ ، والإخوةُ أولىٰ بتعظيمِ أخيهم والسجودِ له من الأبوين . وهو أهونُ من تعظيمِ الأبوينِ وخرورهما له سُجَّداً .

ثم إن الإخوةَ كانوا أسبقَ تعظيماً ليوسف ؛ إذ قد عرفوه قبل أن يعلم به الأبوان ، فناسب تقديمَ الكواكبِ .

١٤١ ـ قال تعالىٰ في سورةِ يوسفَ : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ [يوسف : ٢٤] .

سؤالٌ : هل همَّ سيدنا يوسفُ بامرأة العزيزِ ، كما يقال ؟

الجوابُ : الذي يدلُّ عليه التعبيرُ ـ واللهُ أعلمُ ـ أن سيدنا يوسفَ لم يهمَّ بها ، وذٰلك أن (لولا) حرفُ امتناعٍ لوجودٍ ، وذٰلك نحو قولِك : (لولا أبوه لضربته) ، فأنت لم تضربْه لوجودِ أبيهِ .

فإن قدَّمت ما يدلُّ علىٰ الجوابِ ، فقلت (كنت أضربه لولا أبوه) ، فأنت لم تضربه أيضاً . والحكمُ واحدٌ ، تقدم ما يدلُّ علىٰ الجوابِ أو تأخَّرَ .

وكذٰلك هـٰهنا ، فقد تقدَّم ما يدلُّ علىٰ الجواب ، فالهَمُّ منتفٍ لوجودِ البرهانِ ، نظير قولك : (لولا أن رأىٰ برهان ربِّه لهمَّ بها) . فامتنع الهمُّ لوجودِ البرهانِ ، وإلا لم يكن لقوله : (لولا أن رأىٰ برهان ربِّه) فائدةٌ .

ونظيرُ هـٰذا التَّقديمِ في القرآن قوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ ﴾ [الفرقان : ٧٧] ، وقوله : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [القصص : ١٠] ، وقوله : ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [الفرقان : ٤٢] .

والحكمُ واحدٌ تقدَّمَ أو تأخَّرَ ، ونحو ذٰلك في ذكرِ الجوابِ مؤخَّراً قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٤] . ولو قلت : (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً لولا أن ثبتناك) لكان المعنىٰ واحداً . وهـٰذا نظيرُ ذٰلك .

جاءَ في (البحرِ المحيط) : « والذي أختاره أن يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يقع منه هَمٌّ البتة ، بل هو منفي لوجودِ رؤيةِ البرهانِ ، كما تقول : (قارفت الذنبَ لولا أن عصمك ٱلله تعالىٰ . . . [والتقدير هنا] : لولا أن رأىٰ برهان ربِّه لهَمَّ بها »[1] .

١٤٢ ـ قال تعالىٰ في سورةِ يوسفَ : ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾ [يوسف : ٩٠] .

سؤالٌ :لماذا قال يوسفُ لأخوته : ﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾ ، مع أنهم يعلمون أنه أخوه ؟

الجوابُ : إنه قال لهم ذٰلك ليخبرهم أنه أخوه ، وهو يعرفه حقاً ،

(١) البحر المحيط (٥ / ٢٩٥) .

أي : وهـٰذا أخي أعرفُه كما عرفتكم وأنتم لم تعرفوني ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف : ٥٨] .

أي : إنكم لم تخدعوني بشخصٍ آخرَ جئتموني به ، فتزعمون أنه أخي ، كما فعلتم مع أبيكم حين دخلتم عليه بالبكاء والمجيء بالقميص بالدمِ الكذبِ ، فإن هـٰذا أخي ، أعرفُه كما عرفتكم .

١٤٣ ـ قال تعالىٰ في سورةِ يوسفَ : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف : ٩٤] .

سؤالٌ : لماذا قال : ﴿ لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ ولم يقلْ : (أشمُّ) مع أن الروائحَ تشمُّ ؟

الجوابُ : إنَّ ريح يوسفَ كانت ضائعةً مع يوسف فوجدها ، والضائعُ يقال فيه : (وجدته) .

ثم إن (وجد) لا يختصُّ بالأمورِ الماديةِ ، وإنما هو عامٌّ في القلبي والمحسوس وغيره . قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] ، وقال : ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ [النور : ٣٩] ، وقال : ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٧] .

١٤٤ ـ قال تعالىٰ في سورةِ يوسفَ : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

سؤالٌ : لما ذكر إحسانَ ٱلله به في إخراجِه من السِّجنِ ، ولم يذكر إخراجَه من البئرِ ؟

الجوابُ : لم يذكر إخراجَه من البئرِ ؛ لأنه أُخرجَ من الرقِّ

والعبوديةِ ، ثم إلىٰ السِّجنِ بتهمةٍ مخلَّةٍ بالشَّرفِ ، فلا يكون في ذٰلك منَّةٌ .

وأما إخراجُه من السِّجنِ فإلىٰ الإحسانِ إليه ، وجعله عزيزَ مصرَ . فاختلف الأمران .

١٤٥ ـ سؤالٌ : قال تعالىٰ في سورةِ يوسفَ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [يوسف : ١٠٩] .

ونحو ذٰلك قال في آياتٍ عدةٍ من القرآنِ الكريمِ ، كما في [غافر : ٨٢] ، و[محمد : ١٠] ، وغيرها بإضافةِ (قبل) إلىٰ الضَّميرِ (من قبلهم) .

غير أنه قال في سورةِ الرومِ : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الروم : ٤٢] .

فلم يضف (قبل) ، وإنما قطعها عن الإضافةِ ، فما السببُ ؟

الجوابُ : إن قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ونحوه إنما هو تقرير لهم بأمرٍ قد فعلوه ، فهم قد ساروا ونظروا ، وذٰلك في أسفارهم في طرقهم المعهودة ، فقررهم بذٰلك . فقولك : (ألم أقل لك كذا وكذا ؟) يعني أنك قد قلت له .

أما قوله : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾ فإنه أمرٌ لهم بالسير والنظر علىٰ العموم ، وليس فيما اعتادوا عليه في أسفارهم فحسب . وهٰذا أوسع وأعم مما عهدوه وساروا فيه ونظروا ، ولذا حذف المضافَ إليه ؛ للتَّعميم ، فقال : ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ . فالسَّير أعمُّ ، والنَّظر أعمُّ ، والزمن أعمُّ . واللهُ أعلمُ .

١٤٦ ـ سؤالٌ : ما دِلالةُ القميصِ في قصةِ يوسفَ ؟

الجوابُ : استعمل (القميص) ثلاثَ مراتٍ ، كل مرة في دِلالةٍ :

١ ـ فقد استعمل بيّنةً مزورةً للدّلالةِ على هلاكِهِ وأكلِ الذئبِ إياه ، وذٰلك في قوله سبحانه : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف : ١٨] .

٢ ـ واستعمل بيّنةً صحيحةً للوصولِ إلى الحكمِ وبراءةِ يوسفَ ، وذٰلك في قوله تعالىٰ : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٢٦ ـ ٢٨] .

٣ ـ واستعمل بيّنةً صحيحةً للدّلالةِ على نجاةِ يوسفَ ، وأنه لا يزال حيّاً ، وبشرىٰ لوالده وسبباً لردِّ بصرِهِ . وهو بينة صحيحة بقرينةِ الرائحةِ ، وقرينة الرائحةِ تستعمل الآن في القضاءِ .

فقد استعمل بدايةً لحزنِ يعقوبَ عندما جاؤوا بقميصه ، وأخبروه أن الذئب قد أكله ، واستعمل نهايةً لحزنِهِ عندما جاء البشير ، وألقاه علىٰ وجهِهِ ، واستعمل للدّلالةِ علىٰ هلاكِ يوسفَ ، كما استعمل للدّلالة علىٰ أنه لا يزال حياً .

واستعمل القميصُ لثلاثِ مراحلَ من حياته :

١ ـ **المرحلةِ الأولىٰ** : رميه في الجب ، وصيرورته مملوكاً بعد أن كان حراً ، والفرقة بينه وبين أهله .

٢ ـ **المرحلةِ الوسطىٰ** : سجنه وفقدان الحريةِ ، والفرقة بينه وبين العزيزِ متولّي أمرِهِ .

٣ ـ **المرحلةِ الثالثةِ** : في جمع شمله بأهله وسعادتهم أجمعين .

الموافقاتُ في القصَّةِ :

١ ـ القمصان ثلاثة .

٢ ـ الرؤىٰ ثلاث : رؤيا يوسفَ ، ورؤيا صاحبي السِّجنِ ، ورؤيا الملكِ .

٣ ـ الرِّحلات إليه للامتيارِ من قبل إخوته ثلاثٌ :

أ ـ عندما دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون .

ب ـ الرِّحلة التي جاؤوا فيها بأخيهم ، وفقد صواعِ الملكِ .

ج ـ الرِّحلة التي قالوا فيها : ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ ، وقال لهم : ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ .

١٤٧ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الرَّعدِ : ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد : ١٩ ـ ٢٢] .

سؤالٌ : لماذا جاء قسم من الصِّلات بالفعلِ المضارعِ ، والقسم الآخرُ بالفعلِ الماضي ؟

الجوابُ : يمكن أن نضعَ إجابةً موجزة بما يأتي :

١ ـ ما كان له وقت محدد ، أو ليس مستمراً استمرار بقيّة الصفات ، عبَّرَ عنه بالفعلِ الماضي ، وهو إقامةُ الصلاةِ والإنفاقُ .

٢ ـ ما كان سابقاً لكل الأوصاف المذكورة ، عبَّرَ عنه بالفعلِ الماضي وهو الصَّبر ، ولم يردْ في القرآنِ صلةٌ إلا بالماضي .

٣ ـ وما عدا ذٰلك ، وهو المستمر ممَّا ليس له وقت محدد عبر عنه بالفعلِ المضارع .

فقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ عامٌّ يشمَل جميع أوامرِهِ ونواهيه ، وهو مستمرٌّ بالليلِ والنهارِ .

وقوله : ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ توكيد لما قبله ، ولما كان ما قبله مستمراً أيضاً ، ويشمَل أيضاً جميع ما يعطونه للناس من مواثيقَ . وقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ يشمَل عمومَ ما أمر به من الإطعام ، وصلةِ الرَّحمِ وعمومِ ما أمر ٱللهُ به أن يوصلَ ، وقوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يفيد الاستمرارَ وعدمَ الانقطاعِ ، فهو مستمرٌّ في كلِّ حينٍ . ونحوه قوله : ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ .

وأما قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ فإنه جاء به بالفعل الماضي ؛ لأنه أسبق من كل ما ذكر ، ولأن تلك الصِّلات مترتبة علىٰ حصولِ الصَّبر وتقدُّمه عليها . ولذا لم يردِ الصَّبر صلةً إلا بصيغةِ الماضي في القرآنِ الكريم . قال تعالىٰ : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ [الشورىٰ : ٤٣] ، وقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [هود : ١١] ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الرعد : ٢٢] ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٤٢] ، وقال : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم﴾ [النحل : ٩٦] .

وقوله : ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ عبَّر عنها بالماضي ؛ لأن لها أوقاتاً محدَّدةً ، وليست مستمرةً استمرار الصِّفاتِ الأخرىٰ كما ذكرنا ، ولتحقُّقها وتمكُّنها من أنفسِهم .

ثمَّ إنه إذ أوقع الماضي صلةً احتمل أن يراد به المستقبل(١) ، وذٰلك نحو قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٥٩ ـ ١٦٠] .

فقوله﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾ يفيد الاستقبالَ أي : يتوبون ويبيِّنون ؛ لأنه واقع بعد الكتمانِ ، والكتمان عبر عنه بالمضارعِ .

وقوله : ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ ليس ذٰلك مستمراً استمرار ما قبلها ، وهو دون الصَّلاةِ التي تتكرَّر خمسَ مرَّاتٍ في اليوم والليلة ، فجاء بالفعل ماضياً كما ذكرنا .

وقوله : ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ جاء به بالمضارعِ ؛ لأن ذٰلك ليس له وقت محدد كالصلاة والإنفاقِ الواجبِ .

ثم إن هٰذا له حالتان :

إنه إذا أتوا بمعصية درؤوها ودفعوها بالتَّوبة والحسنة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود : ١١٤] ، وكما قال ﷺ : « **وأتبع السيئة الحسنة تمحها** » .

وأنهم لا يقابلون الشَّرَّ بالشَّرِّ ، بل بالإحسانِ . والإنسان كثيراً ما يسيء أو يساء إليه ، ويدرأ ذٰلك كلَّه بالحسنةِ .

جاء في (روح المعاني) في قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى

(١) انظر : البحر المحيط (٥ / ٣٨٥ ـ ٣٨٦) ، روح المعاني (١٣ / ١٤٦) .

ٱلدَّارِ﴾ [الرعد : ٢٢] : « ويظهر أن اختصاص هـٰذهِ الصِّلةِ بالماضي ، وما تقدَّم بالمضارع أن ما تقدَّم قصد به الاستصحابَ والالتباسَ ، وأما هـٰذه فقد قصد بها تقدُّمها علىٰ ذٰلك ؛ لأن حصول تلك الصِّلات إنما هي مترتبة علىٰ حصول الصَّبر ، وتقدُّمه عليها . ولذا لم تأت صلةٌ في القرآنِ إلا بصيغةِ الماضي ؛ إذ هو شرطٌ في حصولِ التكاليفِ وإيقاعِها »[١] .

١٤٨ ـ قال ٱلله سبحانه في سورةِ الحِجْرِ : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر : ١٦ ـ ١٨] .

وقال في سورةِ الصَّافّاتِ : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات : ٦ ـ ١٠] .

سؤالٌ : لماذا قال في الحِجْرِ : ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ ، وقال في الصَّافّاتِ : ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ؟

الجوابُ : إن معنىٰ (مبين) ظاهرٌ للمبصرين[٢] . ومعنىٰ (ثاقب) نافذٌ بضوئِه وشعاعهِ المنيرِ ، ونيِّرٌ أي : متقد[٣] . والثقب : الخرق النافذ . و(المارد) هو العتي الشَّديد ، فإن معنىٰ (تمرَّد) عتا[٤] . و(الرَّجيم) هو الملعون ، وهو المطرود المبعد ، والمرمي بالشُّهب ،

---

(١) روح المعاني (١٣ / ١٤١) ، وانظر : البحر المحيط (٥ / ٣٨٦) .
(٢) روح المعاني (١٤ / ٢٣) .
(٣) انظر : البحر المحيط (٧ / ٣٥٣) ، لسان العرب (ثقب) .
(٤) لسان العرب (مرد) .

قال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك : ٥] .

والوصف بالماردِ أقوىٰ وأشدُّ من الوصفِ بالرَّجيم . و(الخطف) هو الاستلاب والاختلاس والأخذ في خفَّةٍ وسرعةٍ[١] ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج : ٣١] .

و(الاستراق) أخذ الشَّيءِ بخفية[٢] . واستراق السمعِ قد يكون بالتَّنصُّتِ ، ولا يقتضي الحركةَ . أما الخطف ففيه سرعةٌ واختلاسٌ واستلابٌ . فالمقام في الصَّافّاتِ أشدُّ ؛ فقد ذكر الشَّيطان المارد والخطف . ولما كان المقام في الصَّافّاتِ أشدَّ وأسرع ، وفيه حركة وسرعة ، وهو الخطف استدعىٰ من الحفظ ما هو أشدُّ ، فقال :

أ ـ ويقذفون من كلِّ جانبٍ .

ب ـ وقال : (دحوراً) وهو مصدرٌ بمعنىٰ الحالِ ، أي : مطرودين علىٰ سبيلِ الإهانةِ والإذلالِ[٣] ، أو مفعول له .

ج ـ وقال : ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ ، وهو أقوىٰ من (حفظناها) المذكورة في آيةِ الحِجْرِ ؛ لأنه مصدر ، وهو غير مقيدٍ بزمنٍ والمصدر أقوىٰ من الفعلِ .

---

(١) انظر : روح المعاني (٢٣ / ٧١) ، لسان العرب (خطف) .

(٢) انظر : لسان العرب (سرق) .

(٣) انظر : لسان العرب (دحر) .

د ـ وقال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ أي : دائم[(١)] .

هـ ـ وقال : ﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ وهو أقوىٰ من المبين ؛ لأنه مبين وزيادة ، وأنه قد يخرق أجسادهم ويثقبها . أما المبين فقد يكون ذا نورٍ قليلٍ ، ولا يقتضي شدَّته ، فناسبَ كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

١٤٩ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الحِجْرِ في قومِ لوطٍ : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٧٣ ـ ٧٧] .

ثم قال في أصحابِ الأيكةِ : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر : ٧٨ ـ ٧٩] .

سؤالٌ :

١ ـ لماذا قال أوّلاً في قومِ لوطٍ : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ بالجمع ، ثم قال بعدها : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ ؟

٢ ـ لماذا قال في أصحابِ الأيكةِ : (وإنهما) بالتثنية ، ولم يقل : (وإنهم) أو (وإنها) بالإفرادِ ؟

الجوابُ : أما قوله : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ ، فلأنه ذكر آيات ، ولم يذكر آية واحدة ، فقد قال :

١ ـ فأخذتهم الصَّيحة مشرقين : وهٰذه آية ، وهي الأخذ بالصَّيحةِ .

---

(١) انظر : لسان العرب (وصب) .

٢ ـ فجعلنا عاليها سافلها : وهٰذه آية أخرىٰ .

٣ ـ وأمطرنا عليهم حجارة من سجّيلٍ : وهٰذه آيةٌ ثالثةٌ ، فقال : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ﴾ .

وأما في قوله : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، فهٰذا يعود علىٰ قوله : ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ، وذٰلك يعود علىٰ الآثارِ الباقيةِ من قرية قومِ لوطٍ ، وهي آية وليست جميع الآياتِ ، أي : إنها بطريقٍ واضحٍ[1] .

ـ وأما قوله : ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ، فالضّمير يعود علىٰ محلَّيْ قومِ لوطٍ ، وقومِ شعيبٍ أصحاب الأيكة ، فإنهما بطريقٍ واضحةٍ مسلوكةٍ[2] . فأعاد الضّمير عليهما بالتّثنيةِ .

١٥٠ ـ قال تعالىٰ في سورةِ النّحلِ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [النحل : ٤٨] .

سؤالٌ : لماذا أفرد اليمين وجمع الشمائل فقال : ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ ؟

الجوابُ : قيل : إن ذٰلك لعدَّة مناسباتٍ منها :

إنه قيل : إن المراد باليمين جهة المشرقِ ، والمراد بالشِّمال جهة المغربِ ، وإن الظِّلال في جهة المغربِ بعد الزوالِ تمتد وتكثر ، بخلافها في جهة المشرقِ ، فإنها تنقص وتضمحل ، حتىٰ لا يبقىٰ منها إلا اليسير ، فناسب جمع الشمائلِ وإفراد اليمينِ . جاء في (روح المعاني) : « قيل : إنه أفرد وجمع بالنظر إلىٰ الغايتين ؛ لأن ظلَّ الغداةِ

---

(١) انظر : روح المعاني (١٤ / ٧٤) .

(٢) انظر : روح المعاني (١٤ / ٧٤) .

يضمحل حتىٰ لا يبقىٰ منه إلا اليسير ، فكأنه جهة واحدة . وهو في العشيِّ علىٰ العكس ؛ لاستيلائه علىٰ جميعِ الجهاتِ »[١] .

وقيل أيضاً : إن اليمين وهو جهة المشرق إنما هو جهة مطلعِ النُّورِ ، وإن الشمال هو جهة المغربِ ، وهو الظلمة . والقرآن يفرد النور ويجمع الظلمات حيث وردا في القرآنِ . قال تعالىٰ : ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام : ١] ، فناسب إفراد اليمينِ وجمع الشِّمالِ ، كما أفرد النور وجمع الظلمات[٢] .

وقيل أيضاً : « إن الظل الجائي من جهة المشرقِ لا يتعلق به أمرٌ شرعيٌّ ، والجائي من جهة المغربِ يتعلق به ذٰلك . فإن صلاة الظهرِ يدخل وقتها بأوَّلِ حدوثه من تلك الجهةِ ، بزوالِ الشمسِ عن وسطِ السماءِ . ووقت العصرِ بصيرورته مثل الشاخصِ أو مثليه بعد ظلِّ الزوالِ . . . ووقت المغربِ بشمولهِ البسيطة بغروبِ الشَّمسِ . وما ألطفَ وقوع (سجداً) بعد (الشَّمائل) على هـٰذا ! »[٣] .

١٥١ ـ قال تعالىٰ في سورةِ النَّحلِ : ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل : ٦٥] .

وقال في سورةِ الرُّوم : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم : ٢٤] .

---

(١) روح المعاني (١٤ / ١٥٦) .
(٢) انظر : روح المعاني (١٤ / ١٥٦) .
(٣) روح المعاني (١٤ / ١٥٦) .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ النَّحلِ : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ بإفرادِ الآيةِ ، وقال في الرُّومِ : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ بالجمعِ مع أن المشهد واحد ؟

الجوابُ : إن ذٰلك لأكثرَ من جهةٍ ؛ فقد ذكر البرق خوفاً وطمعاً في الروم ، ولم يذكر ذٰلك في النَّحلِ ، فزادت الآيات . ومن جهةٍ أخرىٰ أنه قال في النَّحلِ : ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالفعلِ الماضي .

وقال في الرُّوم : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالفعلِ المضارعِ ، فتكرَّر التَّنزيل والإحياء فصارت آياتٍ ، وليست آيةً واحدةً . وقال : ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ بالفعلِ المضارعِ فتتكرَّر الرؤية . فناسبَ ذكرَ الآياتِ في الرُّومِ .

١٥٢ ـ قال تعالىٰ في سورةِ النَّحلِ : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل : ١٢٠ ـ ١٢٢] .

وقال في سورةِ العنكبوتِ : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

سؤالٌ : لماذا قال في النحل : ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ . وقال في العنكبوت : ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ ؟

الجوابُ :

١ ـ لقد قال في سياقِ آيةِ العنكبوتِ في قصةِ إبراهيمَ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، فلما ذكر الرِّزق ناسبَ ذكرَ الأجرِ .

٢ ـ إن ما ورد في النَّحلِ هو كل ما ورد من قصةِ إبراهيمَ . وأما في العنكبوتِ فكان له مع قومه موقف ودعوةٌ ؛ فقد دعاهم إلىٰ عبادةِ ٱللهِ إلىٰ أن بَرِموا به ، وقالوا : ﴿ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [العنكبوت : ٢٤] .

قال تعالىٰ : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٦ ـ ١٧] . فجزاه ربُّه أن وهب له إسحاقَ ويعقوبَ ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب ، وآتاه أجره . ولم يذكر في سياقِ النَّحلِ نحو ذٰلك ليعطيه أجراً ، فإن الأجر هو جزاءُ العملِ .

٣ ـ ذكر ربُّنا في النَّحلِ أن ربَّنا اجتباه وهداه إلىٰ صراطٍ مستقيم ، ولم يذكر له عملاً ، وإنما وصفه بقوله : ﴿ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . فلما لم يذكر عملاً لم يذكر أجراً ، وإنما قال : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ .

٤ ـ وصف سيدنا إبراهيم في النَّحلِ بقوله : ﴿ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ ، والقنوت هو الطَّاعةُ ، والخضوعُ . فلما ذكر الطَّاعة علىٰ العمومِ ذكر الحسنة التي هي عامَّةٌ ، ولما ذكر في العنكبوتِ نوعاً من الطَّاعة وهو الدَّعوة والتَّبليغ ، ذكر الأجر الذي هو أخصُّ من الحسنةِ ، فناسب العمومُ العمومَ ، والخصوصُ الخصوصَ .

١٥٣ ـ قال تعالىٰ في سورةِ مريمَ : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥] .

وقال في سورةِ الزُّمَرِ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر : ٧٣] .

سؤالٌ : لماذا قال في آيةِ مريمَ : (نحشر) ، وقال في آيةِ الزُّمَرِ : (وسيق) فاستعمل الحشر في مريمَ ، والسَّوقَ في الزُّمرِ مع أن الكلامَ في الموضعينِ علىٰ المتَّقين ؟

الجوابُ : إنَّ معنىٰ (حشر) جمع[1] ، والحشر الجمع ، قال تعالىٰ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٧] أي : جمع .

لقد قال في آيةِ مريمَ : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴾ والوفدُ لا بدَّ أن يكتمل أفراده ، فهم يجمعون قبل أن يذهب بهم إلىٰ الرَّحمـٰن لتكريمِهِمْ . وقال في آيةِ الزُّمرِ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر : ٧٣] أي : جماعاتٍ ، فهم لم يكتملوا بعد ، حتىٰ إذا اكتملوا جمعوا ، وذهب بهم إلىٰ الرَّحمـٰن وفداً ، فناسبَ كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

١٥٤ ـ قال تعالىٰ في سورةِ مريمَ : ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم : ٩٤] .

سؤالٌ : ما الفرق بين العدِّ والإحصاءِ ؟

الجوابُ : العدُّ ضم الأعدادِ بعضها إلىٰ بعضٍ[2] . و(عدَّهم) أي :

---

(١) انظر : لسان العرب (حشر) .

(٢) مفردات الراغب (عدد) .

عدَّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم[١] . أما (الإحصاء) فهو العدُّ والحفظ والإحاطة . وأحصىٰ الشَّيء أحاط به[٢] . وأحصاهم عدَّهم وحفظهم وحصرهم وأحاط بهم ، بحيث لا يخرج أحدٌ من حيطة علمه[٣] .

١٥٥ ـ قال تعالىٰ : ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ [طه : ٩٧] .

سؤالٌ : لماذا قال : (ظلْت) بلامٍ واحدةٍ مع أن الأصل أن يقال : (ظَلَلْت) كما يقال : (مددت) و(فررت) ، قال تعالىٰ : ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾ [الشعراء : ٢١] .

الجوابُ : هٰذه لغة لبعضِ العربِ ، ويقيسون ما كان نحوه في كلِّ مضاعفِ العينِ واللاَّمِ[٤] ، نحو أحسست فيقولون : (أحست) ولا يكون ذٰلك إلاَّ إذا سكن آخرَ الفعلِ . وقد حذفت هٰهنا تخفيفاً .

وقد ذكرنا في كتابِنا (بلاغةِ الكلمةِ في التَّعبيرِ القرآنيِّ) في باب الذِّكر والحذف أن القرآن قد يحذف من الفعل ؛ للدَّلالةِ علىٰ أن الحدث أقل مما لم يحذف منه ، وأن زمنه أقصر ، أو يحذف في مقامِ الإيجازِ والاختصـارِ[٥] . وذٰلـك نحـو : (تتنـزل) و(تنـزَّل) و(تتـوفـاهـم) و(توفَّاهم) ، وغيرها .

---

(١) روح المعاني (١٦ / ١٤٢) .
(٢) انظر : لسان العرب (حصىٰ) .
(٣) انظر : روح المعاني (١٦ / ١٤٢) .
(٤) انظر : لسان العرب (ظلل) .
(٥) انظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (١١ وما بعدها) .

وهٰهنا حذف من الفعلِ مناسبةً لقصرِ المدَّةِ التي ظل عليه عاكفاً فيها . وذٰلك أن السامريَّ عكف علىٰ عبادةِ العجلِ حين ذهاب موسىٰ إلىٰ مناجاةِ ربِّه ، وأن مدة ذهابِ موسىٰ لمناجاةِ ربِّه وعودتِهِ أربعون ليلةً ، كما قيل ، وأن فتنتهم كانت في العشر الأواخرِ(١) ، فعبادة العجلِ كانت عشرة أيام . فلما كان العكوف عليه قليلاً ، حذف من الفعلِ مناسبةً لقصرِ المدَّةِ .

ونحو هٰذا قوله تعالىٰ في سورةِ الواقعةِ : ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٥ ـ ٦٧] . فقال : (فظلْتم) والأصل (فظلَلْتم) فحذف اللاّم الأولى ، كما في الآيةِ السابقةِ . ومعنىٰ : (تفكهون) أي : تقولون ذٰلك ، ولا شكَّ أن القول لا يظل مستمراً علىٰ الدوام . قد يكون الحزن مستمراً مدة طويلة ، ولٰكن القول لا يستمرُّ ، فالحذفُ من الفعلِ مناسبٌ لقصرِ الحدثِ ، وهو شأن كثيرٍ من التعبيراتِ في نحو هٰذا . وٱللهُ أعلمُ .

١٥٦ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأنبياءِ : ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٦] .

سؤالٌ : لماذا قال : (مستهم) ولم يقل : (أصابتهم) ؟

الجوابُ : أراد ربُّنا أن يبيِّن تأثيرَ العذابِ علىٰ المذكورين ، وأنه إذا مسَّهم منه أقل القليلِ نادوا بالويلِ ، واعترفوا بظلمهم ، فكيف إذا أصابهم منه الكثيرُ ؟ فقال : ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ ﴾ والمسُّ دون النُّفوذِ ، ويكفي في تحقيقه اتِّصال ما(٢) .

---

(١) انظر : فتح القدير (٢ / ٢٣١) ، روح المعاني (٩ / ٦٤) .

(٢) انظر : روح المعاني (١٧ / ٥٤) .

وقال : (نفحة) والنفح فيه معنىٰ القلَّةِ والنَّزارة ، فإن أصله هبوب رائحةِ الشَّيءِ . ونفحه أعطاه يسيراً [١] . وفي (لسان العرب) : « النفحة دفعة الرِّيحِ طيبةً كانت أو خبيثةً » [٢] . وقال : (نفحة) ببناءِ المرَّة أي : نفحة واحدة . فإذا مسَّتهم نادوا بالويل ، فكيف إذا أصابهم العذاب ، أعاذنا ٱلله منه ؟

جاء في (روح المعاني) : « وفي (مستهم نفحة) ثلاث مبالغاتٍ ، كما قال الزمخشري . . . ذكر المسِّ ، وهو دون النُّفوذِ ، ويكفي في تحقُّقه اتِّصال ما ، وما في النَّفحِ من معنىٰ النزارةِ . . . وبناء المرَّةِ ، وهي لأقلِّ ما ينطلقُ عليه الاسمُ » [٣] .

وجاء في (التَّفسيرِ الكبيرِ) للرَّازي : « والمعنىٰ : ولئن مسَّهم شيءٌ قليلٌ من عذابِ ٱللهِ كالرائحة من الشَّيءِ دون جسمِهِ ؛ لتنادوا بالويلِ واعترفوا علىٰ أنفسهم بالظلمِ » [٤] .

وفي الآيةِ مبالغاتٌ وتوكيداتٌ عديدةٌ منها :

١ ـ اللاَّم الموطئة للقسمِ في (لئن) .

٢ ـ المسُّ وهو ما دونَ النفوذِ كما ذكرنا .

٣ ـ النَّفحُ وهو النَّزر اليسيرُ ، وهبوب رائحةِ الشَّيءِ .

٤ ـ بناءُ المرَّةِ في (نفحة) .

---

(١) انظر : روح المعاني (١٧ / ٥٤) .

(٢) لسان العرب (نفح) .

(٣) روح المعاني (١٧ / ٥٤) ، وانظر : الكشاف (٢ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠) .

(٤) التفسير الكبير (٨ / ١٤٥) .

٥ ـ وقال : (من عذاب) للدَّلالة علىٰ التبعيضِ ، أي : بعض منه ، ولم يقل : (نفحة عذابٍ) .

٦ ـ وقال : ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ ولم يقل : (من عذاب ٱلله) ؛ ليبيِّنَ أنه إنما أرسله ربُّه وأنذرهم بالوحي الذي أوحاه إليه ، فقد قال قبل هـٰذهِ الآيةِ : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء : ٤٥] .

والرَّبُّ فيه معنىٰ التَّربيةِ والتَّوجيهِ والإرشادِ ، ومن مقتضياته التَّحذيرُ والإنذارُ ، فلئن مسَّتهم نفحة من عذابِ المربِّي الأعظمِ ؛ ليرتدعوا ويحذروا ؛ لنادوا بالويل ، فكيف إذا أصابهم عذابُ ٱللهِ ؟! والرَّبُّ يعاقب ويؤدِّب ، قال تعالىٰ : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر : ١٣ ـ ١٤] .

٧ ـ وقال : (ليقولُنَّ) وهو جوابُ القسمِ .

٨ ـ وقال : (ليقولُنَّ) بنونِ التَّوكيدِ الثَّقيلةِ ، ولم يقل : (ليقولُنْ) بالنونِ الخفيفةِ ، كما في قوله : ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق : ١٥] . ونون التَّوكيدِ الثَّقيلةِ أكثر توكيداً من الخفيفةِ .

٩ ـ وقال : (يا ويلنا) وهو دعاء بالويلِ والهلاكِ ، أي : أصابهم الهلاكُ .

١٠ ـ الاعترافُ بالظلمِ : ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ .

١١ ـ توكيدُ الاعترافِ بـ(إن) (إنّا) .

١٢ ـ جاء بالظلمِ بالصِّيغةِ الاسميةِ الدَّالة علىٰ الثبوتِ ، أي : إنهم كانوا متَّصفين بالظُّلمِ علىٰ وجهِ الثُّبوتِ . هـٰذا إن مسَّتهم نفحة من

العذابِ ، فكيف إذا أصابهم العذاب ؟! فهـٰذا أدلُّ علىٰ شدَّةِ العذابِ .

١٥٧ ـ قال ٱلله سبحانه في سورةِ الحجِّ : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] .

سؤالٌ : ذكر ربُّنا في المجيءِ إلىٰ الحجِّ الذين يمشون علىٰ أرجلهم ، والرُّكبان علىٰ الجمالِ . فلماذا لم يذكر وسائطَ النقلِ الأخرىٰ ، أو يشر إلىٰ ما قد يرد من وسائطِ النَّقلِ في المستقبلِ ؟

الجوابُ : إنَّ ربَّنا قال في الآيةِ : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ... ﴾ [الحج : ٢٧] ولم يقل : (يأتوه رجالاً . . .) فالخطاب لسيِّدِنا إبراهيمَ ، وليس في عصرِهِ غيرُ ما ذكر . وقد تقول : ولِمَ لَمْ يذكر الفلكَ ، وقد كانت في عهدِهِ ؟

فنقول : إن الفلك لا تصل إلىٰ بيتِ ٱللهِ الحرامِ ، ومكة ليست علىٰ البحرِ ، فلا يصحُّ ذكرُ غير ما ذكر .

١٥٨ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الفرقانِ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان : ٧٠ ـ ٧١] .

سؤالٌ : لماذا ختم الآيةَ الأولىٰ بقولِهِ : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ . وختم الآية الثانيةَ بقولِهِ : ﴿ فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ ؟

الجوابُ : لمَّا قال في الآيةِ الأولىٰ : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ ناسب ذٰلك قولَه : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ؛ لأن الذي يفعل ذٰلك إنما هو الغفورُ الرَّحيمُ . وأما الآية الأخرىٰ فهي في صفةِ التائبِ ، وليست في الكلامِ علىٰ ٱللهِ ، فناسب ذٰلك قولَه : ﴿ فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ .

١٥٩ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الشُّعراءِ : ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴾ [الشعراء : ٣٨] .

وقال في سورةِ الواقعةِ : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴾ [الواقعة : ٤٩ ـ ٥٠] .

سؤالٌ : لماذا قال في الشُّعراءِ : ﴿ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴾ باللاَّم ، وقال في الواقعةِ : ﴿ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴾ بحرفِ الجرِّ (إلىٰ) ؟

الجوابُ : إنَّ (إلىٰ) تفيد انتهاءَ الغايةِ . وإن اللاَّم قد تكون للتَّعليلِ ، وذٰلك نحو قولِهم : (أعددتك لهٰذا اليوم) ، و(كنت هيأتكم لهٰذا اليوم) ، وقد تكون للانتهاءِ بمعنىٰ (إلىٰ) نحو : (ذهبت لخالد) أي : (إلىٰ خالد) و(كل يجري لأجل) .

والأظهر أن اللاَّم في الشُّعراءِ تفيد التَّعليل ، وليست للانتهاءِ ؛ ذٰلك أن معنىٰ الانتهاءِ أن جمع السَّحرةِ مستمرٌّ إلىٰ ذٰلك اليومِ ، وليس الأمر كذٰلك ، فإن السَّحرة جيءَ بهم وجمعوا قبل ذٰلك اليومِ ، وليس الجمع مستمراً إلىٰ ذٰلك اليوم .

وأما في سورةِ الواقعةِ فإن (إلىٰ) تفيد الانتهاءَ ، وذٰلك أن الأولين والآخرين يستمر جمعهم إلىٰ ميقاتِ ذٰلك اليومِ ، وهو يوم القيامةِ . ويصحُّ أن يؤتىٰ في يومِ القيامةِ باللاَّم علىٰ إرادةِ التَّعليلِ ، وأن يؤتىٰ بـ(إلىٰ) علىٰ معنىٰ انتهاءِ الغايةِ .

قال تعالىٰ : ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٥] فجاء باللاَّمِ . وقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ [الجاثية : ٢٦] فجاءَ بـ(إلىٰ) .

١٦٠ ـ قال تعالىٰ في سورةِ النَّملِ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل : ١٨] .

سؤالٌ : ذُكِرَ أن في هـٰذه الآيةِ أوجهاً بلاغيةً متعددةً ، فما هي ؟

الجوابُ : ذكر أنه جمع في هـٰذه الآية أحدَ عشرَ جنساً من الكلام : نادتْ ، وكنَّتْ ، ونبَّهتْ ، وسمَّتْ ، وأمرتْ ، وقصَّتْ ، وحذَّرتْ ، وخصَّتْ ، وعمَّتْ ، وأشارتْ ، وأعذرتْ .

فالنِّداء : (يا) ، والكناية : (أي) ، والتَّنبيه : (ها) ، والتَّسمية : (النمل) ، والأمر : (ادخلوا) ، والقصص : (مساكنكم) ، والتَّحذير : (لا يحطمنكم) ، والتَّخصيص : (سليمان) ، والتَّعميم : (جنوده) ، والإشارة : (وهم) ، والعذر : (لا يشعرون) .

فأدَّتْ خمسةَ حقوقٍ : حقَّ ٱلله ، وحقَّ رسولِهِ ، وحقَّها ، وحقَّ رعيَّتِها ، وحقَّ جنودِ سليمانَ .

فحقُّ ٱلله أنها استرعيت علىٰ النَّمل ، فقامت بحقِّهم .

وحقُّ سليمان أنها نبَّهته علىٰ النَّمل .

وحقُّها إسقاطها حق ٱلله عن الجنودِ في نصحِهم .

وحقُّ الجنودِ بنصحِها لهم ؛ ليدخلوا مساكنهم .

وحقُّ الجنودِ إعلامها إيَّاهم وجميع الخلقِ أن من استرعاه رعية ، فوجب عليه حفظها والذبُّ عنها ، وهو داخلٌ في الخبرِ المشهورِ :

« **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** »[١] . وفيها غير ما ذكر أيضاً ، فهي نهت وبالغت وأكَّدت ونفت .

فالنَّهي قوله : (لا يحطمنكم) ، والمبالغة أنها أسندت النَّهي إلىٰ سليمانَ ، والمقصود الجنود ، أي : لا تدعوا سليمانَ يحطمكم ، والتَّوكيد بالنونِ الثقيلةِ ، والنفي : (لا يشعرون) .
وهناك غير ذٰلك أيضاً .

فقد نادت بقولها : (يا أيها النمل) ، وليس بـ(يا نمل) ، فجاء بـ(أيها) بـ(أي) و(ها) للتنبيه ؛ لئلاَّ يفوت شيء من كلامها ، وليسمع من كان منشغلاً ، وذٰلك لأهمية تحذيرِها .

وجاء بـ(يا) لنداءِ البعيدِ . ولم يحذف حرف النِّداءِ ؛ ليصل صوتها ونداؤها إلىٰ من كان بعيداً عنها ، ولئلاَّ يفوت المهم إذا حذف حرفَ النداءِ . وقدَّمتِ النِّداء علىٰ قولها : (ادخلوا مساكنكم) ؛ لئلاَّ يفوت الأهم من الكلامِ ، وهم منشغلون منهمكون في العملِ غير متوقِّعين ، أو عالمين بما يحدث .

وقالت : (ادخلوا) بخطاب العقلاءِ ؛ الذي دلَّت عليه واو الجماعةِ ، ولم تقل : (ادخلن) أو (ادخلي) . وقالت : (مساكنكم) أي : ليستقر كلُّ واحدٍ في مسكنه ، وبالإضافةِ إلىٰ ضميرِ العقلاء . وذكرت (سليمانَ) باسمه العلم ؛ إشارةً إلىٰ أنها عارفة به ، ولم تذكر صفته أي الملكَ . وذكرت الجنودَ وأضافتهم إلىٰ سليمان ، ولم تقل : (والجنود) .

---

(١) انظر : البرهان (٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ، وانظر : الإتقان ، تحقيق : د . أحمد القيسية ومحمد أشرف (٣ / ٢١٨) .

وقالت : (وهم لا يشعرون) فنفت عنهم الشُّعور ، وفيها أدب الحديثِ . جاء في (روحِ المعاني) : « وأياً ما كان ، ففي تقييدِ الحطمِ بعدمِ الشُّعورِ بمكانهم ، المشعر بأنه لو شعروا بذٰلك لم يحطموا ، ما يشعر بغايةِ أدبِ النَّملةِ مع سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وجنوده »[1] . وذُكر في الحطمِ إعجازٌ علميٌّ ، واللهُ أعلمُ .

١٦١ ـ سؤالٌ : ما الحكمة في اختلافِ خواتيمِ الآياتِ من الآيةِ السِّتين إلىٰ الآيةِ الرابعةِ والسِّتين في سورةِ النملِ ؟

الجوابُ : إنَّ كل آيةٍ ختمت بما يناسب السِّياقَ :

١ ـ قال تعالىٰ : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] .

ختم الآية بقوله : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ . ومعنىٰ (يعدلون) : ينحرفون عن الحقِّ ، ذٰلك أنهم يعلمون ما ورد في الآيةِ ، كما أخبر عنهم ربُّنا سبحانه ، فقد قال عنهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [لقمان : ٢٥] . وقال : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٣] .

فلما كانوا يعلمون ذٰلك ، ناسب أن يقول فيهم : إنهم قومٌ يعدلون ، أي : ينحرفون عن الحقِّ ، وعن طريقهِ الواضحِ البيِّن ؛ لأن من علم ذٰلك انبغىٰ له أن يعبد اللهَ وحدَه ويوحِّده .

٢ ـ وقال في الآيةِ الحاديةِ والسِّتِّينَ : ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ

(١) روح المعاني (١٩ / ١٧٨) .

خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل : ٦١] .

أي : بل أكثرهم لا يعلمون شيئاً من الأشياء معتداً به لقلة من ينظر في دقائقِ هٰذه المصنوعاتِ ، ولا يعلمون كثيراً مما ذكر في الآية والحكمة منها ، ولذٰلك لا يفهمون بطلانَ ما هم عليه من الشِّركِ[1] . فناسب أن يختم الآيةَ بما ختم .

٣ ـ وقال في الآيةِ الثانيةِ والسِّتينَ : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل : ٦٢] .

فهم إذا وقعوا في مأزقٍ عظيمٍ وانقطعت بهم السُّبل ، لجؤوا إلىٰ ربِّهم ، حتىٰ إذا أنجاهم نسوا ربَّهم ، وعادوا إلىٰ ما هم عليه ، كما أخبر عنهم سبحانه بقوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ٤٠ ـ ٤١] .

وقوله : ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الزمر : ٨] . فكأنهم نسوا ما كانوا فيه من الحاجةِ إلىٰ ربِّهم ، والنَّاسي به حاجة إلىٰ التَّذكيرِ والتَّذكُّرِ ، فقال لهم : ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ .

٤ ـ قال تعالىٰ : ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ

---

(١) انظر : روح المعاني (٢٠ / ٦) .

﴿ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل : ٦٣] . ذكر أولاً صفاتِ هـٰؤلاء القوم بأنهم قوم يعدلون ، بل أكثرهم لا يعلمون ، وقليلاً ما يتذكرون ، ثم ذكر بعد ذٰلك تنزيهَه سبحانه وعلوَّه عما يشركون ، فالآيات السَّابقة في صفاتِ أولـٰئكَ المخلوقينَ المشركينَ وانحرافِهم وجهلِهم ، وقلة تذكرِهم . وذكر في هـٰذهِ الآيةِ تنزيهَه سبحانه عن شركِهم .

٥ ـ وقال تعالىٰ : ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النمل : ٦٤] . فبدأ بسؤالٍ ينكرونه ، وهو الحياة بعد الموتِ ، ثم طلب منهم البرهانَ علىٰ معتقداتِهم وشركِهم ، بعد كلِّ ما ذكر ، وبعد ما ألزمهم الحجَّةَ ، فقد قال لهم بعد كلِّ تقريرٍ : ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ وهم يقولون في أنفسهم أو بألسنتهم : نعم . فقال لهم : ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ . فقد ذكرنا البراهين والدَّلالة علىٰ التوحيدِ وبطلان الشِّركِ ، فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقينَ . فكان ذٰلك أنسبَ شيءٍ وألزَمَه للحجَّةِ .

١٦٢ ـ **سؤالٌ :** قال تعالىٰ في سورةِ الرُّوم : ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم : ١٧ ـ ١٨] . فقدم الإمساءَ علىٰ الإصباحِ ، وقدَّم العشيَّ علىٰ الإظهارِ .

وقال في سورةِ الأحزابِ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب : ٤١ ـ ٤٢] . فقدَّم البكرةَ علىٰ الأصيلِ . فما سبب ذاك ؟

الجوابُ : إنَّ كلَّ تعبيرٍ مناسب لما ورد في سياقِهِ ؛ فإنَّ آيات الرُّومِ

في سياقِ ذكرِ السَّاعةِ ، فقد قال قبلها : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ...﴾ [الروم : ١٤ ـ ١٨] .

والساعة بعد زوالِ الدنيا وهي آخرها ، والإمساء آخر النَّهارِ ، فناسب آخرُ الدنيا آخرَ النَّهارِ . وقدَّم العشيَّ على الإظهارِ كما قدَّم الإمساء على الإصباحِ . فالعشيُّ متَّصلٌ بالإمساءِ ، والإظهار يلي الإصباحَ . وأما ما ورد في سورةِ الأحزابِ فإنه مناسبٌ لما ورد في سياقِهِ ؛ فقد قال قبل هـٰذهِ الآيةِ : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

وهـٰذا ابتداءً من أوائلِ التاريخِ من الأممِ السَّابقةِ ، فناسب تقديم ذكر البكرةِ ؛ لأنها أوَّلُ النَّهارِ ، فناسب الأولُ الأولَ . وبعد هـٰذه الآيةِ قولُه سبحانه : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٣] . فقال : ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ وبعدَ الظلمةِ إنما هي البكرة ، وليس الأصيلَ ، فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

جاء في (التفسيرِ الكبيرِ) للفخرِ الرَّازي : « قدَّم الإمساء على الإصباحِ هاهنا ، وأخَّره في قوله : ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ؛ وذلك لأن هـٰهنا أول الكلامِ ذكرَ الحشرَ والإعادةَ ، من قوله : ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ إلى قوله : ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم : ١١ ـ ١٦] . وآخرُ هـٰذه الآيةِ أيضاً ذكر الحشرِ والإعادةِ بقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ والإمساء آخرٌ فذكر الآخرَ ؛ ليذكر الآخرة »(١) .

---

(١) التفسير الكبير (٩ / ٨٩) .

وجاء في (البحرِ المحيطِ) لأبي حيَّانَ : « وقدَّم الإمساءَ علىٰ الإصباحِ ، كما قدَّم في قوله : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾ والظلماتِ علىٰ النُّورِ ، وقابل بالعشيِّ الإمساء وبالإظهار الإصباح ؛ لأن كلاًّ منهما يعقب بما يقابله ، فالعشي يعقبه الإمساءُ ، والإصباح يعقبه الإظهارُ »(١) .

وجاء في (روحِ المعاني) : « قدَّم الإمساء علىٰ الإصباحِ لتقدُّم الليلِ والظلمةِ ، وقدَّم العشيَّ علىٰ الإظهارِ ؛ لأنه بالنِّسبةِ إلىٰ الإظهارِ كالإمساءِ بالنِّسبةِ إلىٰ الإصباحِ »(٢) .

١٦٣ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الأحزابِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

سؤالٌ : لماذا قال سبحانه : ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ ﴾ بإفرادِ العمِّ ، مع أن له أعماماً ، وليس عماً واحداً ، وجمع العمات والخالات ؟

الجوابُ : مما ذكر في ذٰلك أن من أعمامه العبَّاسَ وحمزةَ ، وهما أخواه من الرَّضاع لا تحلُّ له بناتهما ، وأبو طالب ابنته أم هانئ لم تكن مهاجرة ، وقد قال سبحانه : ﴿ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ ، وبقية الأعمامِ بناتهم متزوجاتٌ .

وذكروا له أكثر من خالة ، منهن فُريعة بنت وهبٍ الزُّهريَّةِ ، وفاختة بنت عمرو الزُّهريَّةِ ، خالة النَّبيِّ ﷺ ، وهالة بنت وهبٍ . وذكروا له عدَّة عماتٍ ، وعدَّة بناتٍ لهنَّ . وله خالٌ واحدٌ هو عبد يغوثَ بن وهبٍ .

---

(١) البحر المحيط (٧ / ١٦٦) .

(٢) روح المعاني (٢١ / ٢٩) .

فأفرد العمَّ لذٰلك . وذكرت أسباب أخرىٰ للإفرادِ .

١٦٤ ـ سؤالٌ : قال تعالىٰ : ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [فاطر : ١٩] ، [غافر : ٥٨] .

وقال : ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر : ١٢] فنفىٰ بـ(ما) .

في حينِ قالَ : ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت : ٣٤] .

وقالَ : ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر : ٢٠] .

وقالَ : ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء : ٩٥] . فنفىٰ بـ(لا) . فلِمَ ذاك ؟

الجوابُ : إنَّ (ما) إذا دخلت علىٰ الفعلِ المضارع كان النَّفي للدِّلالةِ علىٰ الحالِ[١] . وإذا دخلت عليه (لا) كان النفي للدِّلالةِ علىٰ الاستقبالِ[٢] . فما نفي بـ(ما) كان لنفي الحالِ ، فقوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ إن عدمَ الاستواءِ فيه مشاهدٌ في هٰذه الدُّنيا ظاهرٌ لكلِّ أحدٍ .

وكذٰلك قولُه : ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ فعدمُ الاستواءِ ظاهرٌ في هٰذا . ونحو ذٰلك قولُه : ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر : ٢٢] .

---

(١) المفصل (٢ / ١٩٩) ، المغني (١ / ٣٠٢) ، وانظر : كتاب سيبويه (١ / ٤٦٠) .

(٢) انظر : كتاب سيبويه (١ / ٤٦٠) ، المغني (١ / ٢٤٥) .

أما ما نفي بـ(لا) فيفيدُ نفيَ الاستواءِ في المستقبلِ ، فقوله : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ إنما يظهر عدم الاستواءِ بينهما في الآخرةِ ، وكذٰلك قولُه : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٥٩] فإن عدمَ استواءِ القاعدين والمجاهدين إنما يظهر أثره في الآخرةِ . وكذٰلك قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ فإن عدمَ الاستواءِ إنما يظهرُ في الآخرةِ .

١٦٥ ـ قال تعالىٰ في سورةِ يـٰس : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يـٰس : ٦٥] .

وقال في سورةِ فصّلتْ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠] .

سؤالٌ : لماذا ختمَ آية يـٰس بالكسبِ ، فقال : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ . وختم آية فصلت بالعملِ ، فقال : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ؟

الجوابُ : ذكرَ الكسبَ في آيةِ يـٰس لما ذكرَ الأيدي والأرجلَ ، وهما آلتا الكسبِ ، ولذٰلك كثيراً ما يقترن الكسبُ بالأيدي ، قال تعالىٰ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم : ٤١] . وقال : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٣٨] . وقال : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورىٰ : ٣٠] . وقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد : ١ ـ ٢] . وذكر العملَ في فصلت لذكرِ السّمعِ والأبصارِ والجلودِ ، وهي تشهدُ العملَ . فناسب كلُّ تعبيرٍ مكانَه الذي هو أنسبُ به .

١٦٦ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الزُّمَرِ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] .

وقال في السورةِ نفسِها : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر : ٤١] .

سؤالٌ : لماذا قال في الآيةِ الأولىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ، وقال في الآيةِ الأخرىٰ : ﴿ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ ؟

الجوابُ : إنَّ حرفَ الجرِّ (علىٰ) يستعمل للأمورِ الثَّقيلةِ وهي للاستعلاءِ وللتكاليفِ ، ولما يثقل أمره ، ولما هو أشقُّ علىٰ العمومِ ، بخلاف (إلىٰ) فإنها ليست كذٰلك .

قال تعالىٰ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، وتقول العربُ : (سرنا عشراً وبقيت علينا ليلتان) ، وتقول : (حفظتُ القرآنَ وبقيت عليَّ منه سورتان) . وتقول : (عليه دينٌ) [(١)] .

والآية الحادية والأربعون ، وهي التي ذكرت فيها (علىٰ) أثقلُ وأشقُّ من الآيةِ الأخرىٰ التي ذكرت فيها(إلىٰ) ؛ لأنها رسالةٌ وتبليغٌ ، فقد ذكر أنها للناسِ ، ومن المعلومِ أن التبليغَ صعبٌ وعسيرٌ . ولم يقل : (للناس) في الآيةِ الأخرىٰ .

ثم قال في آيةِ التَّبليغِ : ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا

---

(١) انظر : لسان العرب (علا) (١٩ / ٣٢١) .

يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ فهٰذه الآيةُ رسالةٌ . والآيةُ الأخرىٰ نبوةٌ وهي خاصةٌ به ، وليس فيها تبليغٌ ، فإنه قال فيها : ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ . فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

١٦٧ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الزُّمَرِ : ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر : ٧٠] .

سؤالٌ : لماذا قال أولاً : (ما عملت) ثم قال : (بما يفعلون) فذكر العملَ أولاً ، ثم ذكر الفعلَ بعد ذٰلك ؟

ولماذا أخبر بالفعلِ الماضي أولاً ، فقال : (ما عملت) ثم أخبر بالمضارع بعد ذٰلك ، فقال : (بما يفعلون) ؟

الجوابُ : الفعلُ أعمُّ من العملِ ، فإنَّ العمل يكون بقصدٍ ، وأما الفعلُ فيكون بقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ ، ويصدر عن العاقِلِ وغيره ، من الإنسانِ والحيوانِ والجمادِ[1] . وقد بدأت الآيةُ بالعملِ وختمت بالفعلِ ؛ ليدل علىٰ أنه سبحانه يعلم العملَ والفعلَ كليهما ، ما فعل بقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ ، وسواء كان عن علمٍ ، أم بدون علمٍ .

أما الإخبارُ بالماضي في قوله : (بما عملت) ؛ فلأن ذٰلك جرىٰ في ذكرِ أحوالِ الآخرةِ ، قال تعالىٰ : ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر : ٦٩ ـ ٧٠] .

وأما الإخبارُ بالمضارعِ بعد في قوله : ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ؛ فلأنه تقدم السِّياق في الكلامِ علىٰ الدنيا لذكر ما يحدث في الآخرةِ ، وذٰلك قوله

(١) انظر : مفردات الرَّاغب (عمل) و(فعل) .

تعالىٰ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ ﴾ [الزمر : ٦٧ ـ ٦٨] . فالتفت في قوله : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ إلىٰ السِّياقِ في الدُّنيا ، فذكر علمه بما يفعلون .

وإذا كان قوله : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ إخباراً عن ماضٍ ، فيكون من باب حكايةِ الحالِ ، كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ [البقرة : ٩١] .

١٦٨ ـ قال تعالىٰ في سورةِ فصِّلتْ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت : ٢٠ ـ ٢١] .

سؤالٌ : لماذا خصَّ هـٰؤلاء سؤال الجلودِ ، مع أن السَّمع والبصر شهدا عليهم أيضاً ؟

الجوابُ : إنَّ الجلودَ هي التي تذوق العذابَ وينالها منه القسط الأكبر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] . فاستغربوا أن تشهدَ الجلودُ مع أنها هي التي سينالُها العذابُ فسألوها لذٰلك .

جاء في (روحِ المعاني) : « قيل : إن ما تشهد به من الزنىٰ أعظمُ جنايةً وقبحاً من جلب الخزيِ والعقوبةِ ، مما تشهدُ به السمعُ والأبصارُ من الجنايات المكتسبةِ بتوسطها . . . أو لأنها هي مدركةُ العذابِ بالقوةِ المودعةِ فيها كما يشعرُ به قوله تعالىٰ : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ »(١) .

---

(١) روح المعاني (٢٤ / ١١٥) .

١٦٩ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الجاثيةِ : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [الجاثية : ٧ ـ ١١] .

سؤالٌ : ما علاقةُ اختيار كلِّ فاصلةٍ بسياقها ؟

الجوابُ : **الأفّاك** : الكثيرُ الكذبِ ، والذي ينصرفُ من الحقِّ إلىٰ الباطلِ[١] . **الأثيمُ** : الكثيرُ الإثمِ المبالغُ فيه . **الرِّجزُ** : القذر مثل الرِّجسِ ، والرِّجز هو العذابُ المقلقلُ لشدَّته وله قلقلةٌ متتابعةٌ ، والرِّجزُ كالزلزلةِ[٢] .

فذكر في الآيةِ الأولىٰ ـ أي السابعة ـ صفةَ من يستحقُّ هـٰذا العذاب ، بأنه أفاكٌ كثيرُ الكذبِ ، وينصرف من الحقِّ إلىٰ الباطلِ ، وأنه كثيرُ الإثمِ مبالغٌ فيه . وبيَّن له صفةً أخرىٰ ، وهي أنه يسمع آياتِ ٱلله تتلىٰ عليه ، ثم يصرُّ مستكبراً كأن لم يسمعها إلىٰ بقيةِ الصِّفاتِ الأخرىٰ المذكورة في الآياتِ بعدها .

ولما ذكر في الآيةِ الثامنةِ أنه يصرُّ مستكبراً كأنه لم يسمع الآيات ، قال : ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ ﴾ لعله يسمع هـٰذه البشرىٰ ، فقال : ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي أسمعه هـٰذه البشرىٰ ، وهي العذابُ الأليمُ ، وهـٰذا العذابُ الأليمُ

---

(١) انظر : مفردات الراغب (أفك) ، القاموس المحيط (أفك) ، فتح القدير (٥ / ٤) .

(٢) انظر : لسان العرب (رجز) ، مفردات الراغب (رجز) .

يقمعُ استكبارَه الكاذبَ . وهٰذه البشرىٰ استهزاءٌ به يليق باستكباره ، والجزاء من جنسِ العملِ . وقال في الآيةِ بعدَها : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [الجاثية : ٩] ، والعذابُ المهينُ مناسبٌ لاستهانتهِ واستهزائه بآياتِ ٱللهِ . والعذابُ المهينِ هو المشتملُ علىٰ الإذلالِ والفضيحةِ[١] .

جاء في (روحِ المعاني) : « وصف العذاب بالإهانةِ توفيةً لحقِّ استكبارِهم واستهزائهم بآياتِ ٱللهِ عزَّ وجلَّ »[٢] . وهٰذا العذابُ المهينُ إنما هو واقعٌ في الدُّنيا والآخرةِ فعذاب الدنيا بالقتل والأسر ، ولهم عذاب مهين في الآخرة ، يدلُّ علىٰ ذٰلك قوله سبحانه : ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا ﴾ ، وقال في الآيةِ بعدها : ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فذكر أن لهم عذاباً عظيماً وهو أشدُّ العذابِ . وهو ـ كما قيل ـ لا يدع جهةً من جهاتهم ، ولا زماناً من أزمانهم ، ولا عضواً من أعضائهم إلا ملأه ؛ ذٰلك أنها في المشركين الذين اتخذوا من دونِ ٱللهِ أولياءَ ، وهي الأصنامُ والمعبوداتُ الباطلةُ .

ولما كان هٰؤلاء مشركين ؛ استحقوا أشدَّ العذابِ وأعظمه ، فناسبَ العذابُ وصفَهم . ثم قال بعدها : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ . وهو العذابُ المقلقلُ لشدَّته ، وله قلقلةٌ شديدةٌ متتابعةٌ[٣] .

والرجزُ هنا كالزلزلةِ ؛ أي ولهم عذابٌ من الرِّجسِ والقذارةِ بليغُ

---

(١) انظر : فتح القدير (٥ / ٤) .

(٢) روح المعاني (٢٥ / ١٤٣) .

(٣) انظر : لسان العرب (رجز) .

الإيلام متتابعٌ ، ذٰلك أنهم كفروا بآياتِ ربِّهم ، والآياتُ متتابعةٌ والرِّجزُ متتابعٌ . ولما خصَّص الكفر بآياتِ ربِّهم خصَّص العذاب بأنه من رجزٍ . ولما كانت الآيات متتابعةً كان العذابُ متتابعاً . فما أجلَّ هـٰذه المناسبات وأعظمها !

١٧٠ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الفتحِ : ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح : ٩] .

سؤالٌ : الضَّمائر في قوله : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ علىٰ من تعودُ ؟ أعلىٰ ٱللهِ أم علىٰ الرَّسولِ ﷺ ، وإذا كانت تعود علىٰ الرَّسولِ ﷺ ، فكيف يصحُّ عطفُ (وتسبِّحوه) عليها والتَّسبيحُ للهِ ؟

الجوابُ : الضَّمائرُ كلُّها ـ كما هو الأولىٰ والأظهرُ ـ تعودُ علىٰ ٱللهِ .

فمعنىٰ (عزَّره) عظمه ونصره ، ومعنىٰ التعزير النَّصر باللسانِ والسَّيفِ[١] . وعلىٰ هـٰذا فإن قولَه : (تعزروه) يعني : تنصروه باللسانِ والسَّيفِ . قال تعالىٰ : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .

ومعنىٰ (توقروه) تعظِّموه ، والتوقيرُ معناه التعظيمُ[٢] . قال تعالىٰ : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح : ١٣] . أي ما لكم لا تخافون للهِ عظمةً[٣] . وعلىٰ هـٰذا فإن الضَّمائرَ تعودُ علىٰ ٱللهِ وهو الأولىٰ ؛ لئلا يلزم فكُّ الضمائرِ من غيرِ ضرورةٍ[٤] . وجوز بعضُهم أن يكون بعضُها

---

(١) انظر : لسان العرب (عزر) ، روح المعاني (٢٦ / ٩٦) .

(٢) انظر : لسان العرب (وقر) .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء (٣ / ١٨٨) ، لسان العرب (وقر) .

(٤) انظر : البحر المحيط(٨ / ٩١) ، روح المعاني (٢٦ / ٩٦) ، فتح القدير (٥ / ٤٦) .

للرَّسولِ ﷺ[1] . ولـٰكن الأولىٰ ما ذكرناه .

١٧١ ـ قال تعالىٰ في سورةِ (قٓ) : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [قٓ : ١٢ ـ ١٤] .

سؤالٌ : ذكر (إخوان لوطٍ) في الآيةِ الثالثةَ عشرة ، ولم يرد مثل هـٰذا التَّعبيرِ مع غيرِهِ من الأنبياءِ . فلم يرد (إخوان هودٍ) أو غيره ، فلم ذاك ؟

الجوابُ : إنَّ قومَ لوطٍ يختلفون عن بقيةِ الأقوام جميعاً ؛ لأن معصيتهم إنما تخصُّ الرِّجالَ ، ذٰلك أنهم كانوا يأتون الرِّجال شهوةً من دونِ النِّساءِ ، وهـٰذه خاصَّة بالرِّجالِ .

وكلمة (إخوانٍ) هي للذُّكورِ ولا تشمَل الإناثَ ، فلذٰلك جاء بها معهم خاصَّةً ، بخلاف معاصي أقوامِ الأنبياءِ الآخرين ، فإنها تعمُّ الرِّجالَ والنِّساءَ فيأتي بكلمةِ (قومٍ) معهم .

غير أنه يذكر قومَ لوطٍ حين يذكر العقوبةَ والهلاكَ . قال تعالىٰ في سورةِ الشُّعراءِ : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء : ١٦٠] ثم ذكر هلاكهم وتدميرهم ، فقال : ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء : ١٧٠ ـ ١٧٣] .

وذكر نحو ذٰلك في سورةِ هودٍ ، فقال : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ

(١) انظر : روح المعاني (٢٦ / ٩٦) .

وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ [هود : ٧٤] ، ثمَّ ذكر تدميرَهم وهلاكَهم ، فقال : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود : ٨٢ ـ ٨٣] . ونحو ذلك ورد في سورةِ القمرِ ، قال تعالىٰ : ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر : ٣٣ ـ ٣٤] إلىٰ أن يقولَ : ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر : ٣٨ ـ ٣٩] فبان الفرقُ .

١٧٢ ـ قال تعالىٰ في سورةِ المجادلةِ : ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة : ٦ ـ ٧] .

سؤالٌ : قال تعالىٰ في الآيةِ الأولى : ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾ بالفاءِ ، وقال في الآيةِ التي تليها : ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ﴾ بـ(ثم) ، فما السَّببُ ؟

الجوابُ : إنَّ الآيةَ الأولىٰ في يومِ القيامةِ ، يدلُّ علىٰ ذلك قوله : ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ فيكون التَّنبيءُ قريباً . فإن الفاءَ تدل علىٰ التَّرتيبِ والتَّعقيبِ .

أما الآيةُ الأخرىٰ فهي في الدُّنيا ، والكلامُ علىٰ من في الدُّنيا وتناجيهم ، والتَّنبيءُ إنما يكون يومَ القيامةِ ، كما قال : ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ وهو متراخٍ عن الدُّنيا ، فجاء بـ(ثم) التي تدلُّ علىٰ التَّرتيبِ والتَّراخي ، أي : المهلة .

١٧٣ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الطَّلاقِ : ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن

يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٤] .

وقالَ فيها أيضاً : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٦-٧] .

سؤالٌ : قال سبحانه في الآيةِ الأولىٰ : ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ بالجمعِ (الأحمال) ، وقال في الآيةِ الأخرىٰ : ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ بالإفرادِ (حمل) ، فلمَ ذاك ؟

الجوابُ : إنَّ الآيتينِ كلتيهما في المطلَّقاتِ ، غير أن الآيةَ الأولىٰ عامةٌ ليس بينهن تفاوت ، فأولات الأحمالِ جميعاً أجلهن وضعُ الحملِ .

وأما الآيةُ الأخرىٰ فأولات الأحمالِ متفاوتات من حيث مقدارُ الإنفاق عليهنَّ ، فإنه بحسب سعةِ الزَّوج ، كما قال تعالىٰ في السِّياق نفسه : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٧] . وهنَّ متفاوتاتٌ أيضاً من حيث التَّوافق علىٰ الإرضاعِ أو التَّعاسرِ ونحوه كما قال تعالىٰ : ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق : ٦] .

فالآيةُ الأولىٰ تعمُّ جميعَ أولاتِ الأحمالِ ، والثَّانيةُ لا تعمُّ الجميعَ ، بل بينهن اختلافٌ . فليست أولات الأحمالِ متساوياتٍ في ذٰلك ، بل هنَّ متفاوتاتٌ من حيث مقدار الإنفاقِ عليهنَّ ، ومن حيث التَّوافق علىٰ الإرضاعِ .

ولا شكَّ أن هـٰذه الحالَ أقلُّ من العمومِ ، فهن لا يتقاضين نفقةً

واحدةً ، وليست كلهن متفقاتٍ علىٰ الإرضاعِ . فلما اختلف الوضعُ وشمِلَ بعضاً دون بعضٍ ، جاء بالمفردِ الذي هو أقلُّ من الجميعِ في الدِّلالةِ .

إن الحالةَ الثانيةَ مرتبطةٌ بأمرين : حالة الزَّوجِ الماديةِ ، والآخر رغبة الزَّوجةِ في الإرضاعِ وعدمِهِ .

وأما الحالةُ الأولىٰ فأمرٌ عامٌّ لا يعود إلىٰ رغبةِ أيٍّ من الطَّرفينِ ، فهو عامٌّ يشملُ الجميعَ فجمع لذٰلك . فناسبَ كلُّ تعبيرٍ موضعَه ، وٱللهُ أعلمُ .

١٧٤ ـ قال تعالىٰ في سورةِ التَّحريم : ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم : ٣] .

سؤالٌ : لماذا قال أولاً : ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾ ، ثم قال بعد : ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ﴾ فاستعمل (نَبَّأَ) أولاً ، ثم استعمل (أنبأ) بعد ؟

الجوابُ : إنَّ الفعلَ (نبَّأَ) يقتضي تنبيئاً أكثر من (أنبأ) ، كقولنا : (علَّم وأعلم) .

فلما عرَّف بعضَ الحديثِ وأعرض عن بعضٍ ، كان كأنما ذكر قسماً من النَّبأ ، فقالت له : (من أنبأك هـٰذا) ؛ أي هـٰذا الجزء منه . فذكر أن العليمَ الخبيرَ نبأه به كلِّه .

١٧٥ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الملكِ : ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الملك : ٢٠] .

وقال في سورةِ الكهفِ : ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف : ٤٣] .

وقال في سورةِ القصصِ : ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن

﴿فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص : ٨١] .

سؤالٌ : لماذا قال في سورةِ الملكِ : ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ، وقال في آيتي الكهفِ والقصصِ : ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ؟

الجوابُ : إنَّ السِّياق في سورةِ الملكِ إنما هو في ذكر النعم التي أنعمَ ٱلله بها علىٰ النَّاسِ .

قال تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك : ١٥] . وقالَ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ﴾ [الملك : ١٩] . وقالَ : ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ [الملك : ٢٠] ، وقال : ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ﴾ [الملك : ٢١] ، وقالَ : ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك : ٢٣ ـ ٢٤] . فكان ذكرُ الرحمـٰن هو المناسبَ ، فإن ذلك من مظاهرِ رحمتِهِ سبحانه .

أما السِّياق في سورتي الكهفِ والقصصِ ، فهو في العقوباتِ . أما في الكهفِ فإن السِّياق في محاورةٍ بين كافرٍ ومؤمنٍ ، قال تعالىٰ : ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف : ٣٢] .

إلىٰ أن قالَ : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف : ٣٥ ـ ٣٦] .

إلىٰ أن قال : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف : ٤٢ ـ ٤٣] .

وكذٰلك السِّياق في القصصِ ، فإنه في سياقِ الخسفِ بقارونَ وبدارِهِ ، قال تعالىٰ : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص : ٨١] .

فالسِّياقُ في الموضعين إنما هو في العقوباتِ لا في النعمِ والرَّحمةِ ، فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعَه .

أما الاختلافُ بين ما وردَ في سورتي الكهفِ والقصصِ فقد ذكرناه في كتابنا (من أسرارِ البيانِ القرآني) في بابِ التَّشابهِ والاختلافِ ، فلا نعيد القولَ فيه .

١٧٦ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الحاقةِ : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٤ ـ ٦] .

سؤالٌ : لماذا قدَّم ثمودَ علىٰ عادٍ مع أن عاداً أسبقُ من ثمودَ ؟

الجوابُ : إنَّ التَّقديمَ والتَّأخيرَ قد يكونان بصورةٍ متعدِّدةٍ ، فقد يكون التَّقديم من القريبِ إلىٰ البعيدِ أو من البعيدِ إلىٰ القريبِ ، وقد يكون من القليلِ إلى الكثيرِ أو من الكثيرِ إلىٰ القليلِ وغير ذٰلك .

وهاهنا بدأ بالأقربِ إليهم وهو ثمودُ ، فإنه أقرب إليهم من عادٍ . وهـٰذا هو السَّمتُ الظاهرُ في هـٰذه السُّورةِ ، فإنه يبدأ بالأقربِ إليهم ، فقد قال : ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة : ٩] فذكر فرعونَ ، وذكر من قبله ، وذكر المؤتفكاتِ وهي مدائنُ لوطٍ وهي الأقدمُ ، فبدأ بالأقربِ .

وقال : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة : ١١] والكلامُ علىٰ نوحٍ وهو أقدمُ من كلِّ المذكورين . ثم قال : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٣ ـ ١٦] . فبدأ بالأقربِ إليهم وهي الأرضُ ثم السماءُ ، فذكر حملَ الأرضِ والجبالِ أولاً ، ثمَّ ذكر بعدها انشقاقَ السَّماءِ .

في حينِ يبدأ بالسَّماءِ ثم الأرضِ في مواطنَ أخرىٰ .

قال تعالىٰ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١ ـ ٤] فبدأ بالسَّماءِ ، ثم ذكر الأرضَ بعدها . وقال : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ [الانفطار : ١ ـ ٤] . فبدأ بالسَّماءِ ثم ذكر ما في الأرضِ . وقال : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١ ـ ٣] . فبدأ بما في السَّماءِ ، ثم ذكر ما في الأرضِ .

علىٰ غيرِ ما وردَ في سورةِ الحاقةِ ، حتىٰ إنه قال في الحاقةِ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٨ ـ ٣٩] فبدأ بما يبصرُ وهو الأقربُ إليهم ، ثم ما لا يبصرُ مما كان بعيداً ، أو له حالةٌ أخرىٰ لا تبصرها العيون . فهـٰذا التَّقديمُ والتَّأخيرُ هو السَّمتُ العامُّ لهـٰذه السُّورةِ .

١٧٧ ـ قال تعالىٰ في سورةِ المعارجِ : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] .

وقال في سورةِ القدرِ : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ [القدر : ٤] بتقديمِ الملائكةِ علىٰ الروحِ .

وقال في سورةِ النبأ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ : ٣٨] بتقديمِ الرُّوحِ علىٰ الملائكةِ .

سؤالٌ : لِمَ قدَّمَ الملائكةَ علىٰ الرُّوحِ في آيتي المعارجِ والقدرِ ، وقدَّمَ الروحَ علىٰ الملائكةِ في آيةِ النبأ ؟

الجوابُ : إنَّ ربَّنا يقدِّمُ الملائكةَ علىٰ الرُّوحِ في الحركةِ والصعودِ والنزولِ والانتقالِ ؛ لأن ذٰلك أكثرُ فيهم من الرُّوحِ . قال تعالىٰ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ [الأنعام : ٦] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء : ٩٧] . وقال : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] . وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت : ٣٠] .

أما في الوقوفِ والقيامِ فيقدِّم الروحَ ، قال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ [النبأ : ٣٨] .

١٧٨ ـ قال تعالىٰ في سورةِ المزمِّلِ : ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل : ٩] .

وقال في سورةِ الرَّحمٰنِ : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمٰن : ١٧] .

وقال في سورةِ المعارجِ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج : ٤٠] .

سؤالٌ : المقصودُ بالمشرقِ والمغربِ معلومٌ ، ولٰكن ما المقصودُ بالمشرقينِ والمغربينِ ، وبالمشارقِ والمغاربِ ؟

الجوابُ : قيل : إن المرادَ بالمشرقينِ والمغربينِ ، مشرقُ الصَّيفِ ومشرقُ الشِّتاء ، ومغرباهما ، فإنَّ كلَّ مشرقٍ تشرقُ فيه الشَّمسُ مرتين في السَّنةِ ، مرَّةً في الصَّيفِ ومرَّةً في الشِّتاءِ وكذٰلك كلُّ مغربٍ ، وهي تنتقلُ بين خطِّ الاستواءِ والمدارين . وقيل : المشرقان مشرقا الشَّمسِ والقمرِ ، والمغربانِ مغرباهُما (١) .

وإن المقصودَ بالمشارقِ والمغاربِ مشارقُ الشَّمسِ ومغاربها ، علىٰ تعددِ أيامِ السنةِ ، فإنها في كلِّ يومٍ تشرق من مشرقٍ وتغرب في مغربٍ ، أو مشارقُ الشَّمسِ والقمرِ ، وقيل : مشارقُ الكواكبِ ومغاربها مطلقاً (٢) .
وقد تقول : لقد قال في سورةِ الصَّافّاتِ : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ [الصافات : ٥] فذكر المشارقَ ، ولم يذكرِ المغاربَ ، فما السَّببُ مع أنه ذكرهما في سورةِ المعارجِ ؟

والجوابُ : أنه قال في الصَّافّاتِ : (رب المشارق) ولم يذكرِ المغاربَ مناسبةً للآيةِ بعدها ، فقد قال : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات : ٦] ذٰلك أن الزينةَ إنما تكون في مشارقِها لا في مغاربِها . ولقوله أيضاً : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ﴾ [الصافات : ٧ ـ ٩] وقذفُ الشياطينِ إنما يكون في مشارقِ الكواكبِ لا في غروبِها .

وأما قولُه في المعارجِ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج : ٤٠] فهو مناسبٌ لما بعده ، وهو قوله : ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج : ٤١] ذٰلك أن المعنىٰ أنه يهلكُ هٰؤلاء ويفنيهم ، ويأتي

(١) انظر : روح المعاني (٢٧ / ١٠٥) .
(٢) انظر : روح المعاني (٢٩ / ٦٥) .

بغيرِهم من هو خيرٌ منهم ، وإذهابُهم وإهلاكُهم أشبه بالغروبِ . والمجيءُ بغيرِهم إنما هو شروقُ جيلٍ أفضلُ منهم . فإذهابُهم غروبُهم ، ومجيءُ غيرِهم شروقٌ . فناسبَ كلَّ تعبيرٍ موضعَه .

١٧٩ ـ قـال تعـالىٰ فـي سـورةِ النبـأ : ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ [النبأ : ٢٨] .

وقال في سورةِ البروجِ : ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴾ [البروج : ١٩] .

سؤالٌ : لِمَ قال في سورةِ النبأ : (كِذَّاب) ، وقال في سورةِ البروجِ : (تكذيب) ؟

الجوابُ : من معاني (الكِذَّاب) التَّـكذيبُ والكذبُ ، يقالُ : (كذَّب بالأمرِ تكذيباً وكِذَّاباً) و(كذب الرجلُ كِذَّاباً) [١] . وقد يستعمل (الكِذَّاب) للإفراطِ في التَّـكذيبِ أو الكذبِ [٢] . ومن النَّظر في السِّياقين تتبيَّن مناسبةُ اختيارِ كلٍّ من المصدرينِ .

قال تعالىٰ في سورةِ النبأ : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ : ٢١ ـ ٣٠] ، وقال في سورةِ البروجِ : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ [البروج : ١٧ ـ ٢٠] .

وقد ذكرنا أن من معاني (الكِذّاب) المبالغةَ في التَّـكذيبِ والإفراطَ

---

(١) انظر : لسان العرب (كذب) .

(٢) انظر : الكشاف (٣ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧) .

فيه . وقد ذكر في سورةِ النبأ من الصِّفاتِ ما زادَ علىٰ ما في البروجِ :

١ ـ فقد ذكر أنهم طاغون : ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ .

٢ ـ وأنهم كانوا لا يرجون حساباً .

٣ ـ وأنهم كذَّبوا بآياتِ ٱللهِ كِذاباً .

٤ ـ وإن (كذّاباً) في الآيةِ إنما هو مفعولٌ مطلقٌ مؤكدٌ لفعله ، فأكَّد تكذيبهم بالمصدرِ المؤكدِ . ولم يقلْ في سورةِ البروجِ إلا قوله : ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ﴾ .

فلما زاد في النبأ علىٰ ما في البروج من الوصفِ بالطُّغيانِ والتَّفصيلِ في الكفرِ ، جاء بالمصدرِ ما يدلُّ علىٰ المبالغةِ وأكَّد به فعله (كذبوا) . فناسبَ كلُّ تعبيرٍ موضعَه وسياقَه .

ومن لطيفِ السِّياقِ أنه لما قال في (البروج) : ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ﴾ أي : ساقطون فيه ، وإن التَّكذيبَ محيطٌ بهم ناسبَ أن يقولَ : ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ . فالتَّكذيبُ محيطٌ بهم وٱللهُ محيطٌ بالجميعِ .

ومن لطيفِ الاستعمالِ للكِذّاب أيضاً ، أنه قال في سورةِ النبأ : ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النبأ : ٣٥] ولم يقلْ (ولا تكذيباً) أو (ولا كذباً) ؛ لأن الكِذّابَ يكون بمعنىٰ الكذبِ وبمعنىٰ التَّكذيبِ . فجمعَ المعنيينِ في التَّعبيرِ ؛ أي : لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذاباً ولا تكذيباً ، فنفىٰ الكذبَ والتَّكذيبَ . وهو من لطيفِ التَّوسعِ في المعنىٰ .

١٨٠ ـ قال تعالىٰ في سورةِ النبأ في الكافرينَ : ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ : ٢٤ ـ ٢٦] .

وقال في المتَّقينَ : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [النبأ : ٣١ ـ ٣٦] .

سؤالٌ : لماذا قال في جزاءِ الكافرين : ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ . وقال في جزاء المتَّقين : ﴿ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ ؟

الجوابُ : ذكر ربُّنا أن جزاءَ السَّيئةِ مثلها ، قال تعالىٰ : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورىٰ : ٤٠] . وقال : ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٠] . فلما كان الجزاءُ موافقاً لأعمالهم قال : ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ أي : علىٰ قدرِ أعمالِهم .

وأما الحسنةُ فتجزىٰ بعشرِ أمثالها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] إلى أضعافٍ كثيرةٍ ، كما قال ربُّنا : ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

فلما كانت أجورُ الحسناتِ تتضاعف ، قال ربُّنا : ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ . فذكر أنه عطاءٌ من الرَّبِّ سبحانه ، ثم قال (حساباً) أي : كافياً موفياً . فإن معنىٰ (أحسبُ) كفى ، ومعنى (حساباً) كافياً ، يقال : (أحسبت الرجل) أي : أعطيته ما يرضىٰ[1] .

جاء في (روحِ المعاني) في قوله : ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ : « فالمرادُ جزاءً موافقاً لأعمالهم علىٰ معنىٰ أنه بقدرها في الشِّدةِ والضَّعفِ ، بحسب استحقاقِهم كما يقتضيه عدله وحكمته تعالىٰ »[2] .

(١) انظر : لسان العرب (حسب) .
(٢) روح المعاني (٣٠ / ١٦) .

وجاءَ فيه في قوله : ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ : « (عطاء) أي : تفضيلاً وإحساناً منه عزَّ وجلَّ . . . (حساباً) صفةُ عطاءٍ بمعنىٰ كافياً »[١] .

وجاء في (ملاك التأويلِ) : « إن ٱلله سبحانَه أعلمنا أنه يجازي علىٰ الحسنةِ بعشرِ أمثالها ، إلىٰ سبعمئة ضعفٍ إلىٰ ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرَ علىٰ قلبِ بشرٍ . . . وقال تعالىٰ في الجزاءِ من السيِّئاتِ : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فحصل من هٰذا أن حكم السيِّئاتِ المقابلةِ بأمثالها . . .

وأما الجزاءُ الإحسانيُّ فقد فاق الوفاقَ ، وعجز عن التَّقديرِ ، فلهٰذا أعقبَ قوله سبحانه : (جزاء) بما يشعر بجريانه علىٰ حكمِ الإنعامِ والإحسانِ فقال : (من ربك) وفي هٰذه الإضافةِ ما يشعرُ بعظيمِ الرحمةِ وزلفىٰ القربِ بقوله : (من ربك) ثم قال : (عطاءً) . . .

ثم قال : (حساباً) فأشار إلىٰ التَّضعيفِ المتقدِّم . ولم يكن ليلائمَ جزاءَ السيئةِ أن يقالَ : (من ربك) ولا لتسمىٰ (عطاءً) ولا(حساباً) »[٢] .

١٨١ ـ قال تعالىٰ في سورةِ المطففينَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين : ٢٩] .

وقال فيها : ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين : ٣٤] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣٠ / ١٨ ـ ١٩) .

(٢) ملاك التأويل (٢ / ٩٤١ ـ ٩٤٢) .

سؤالٌ : لماذا وصف الكفارَ بالإجرامِ أولاً ، فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ ، ووصفهم بعد ذٰلك بالكفر ، فقال : ﴿مِنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ ؟

الجوابُ : قال عنهم أولاً إنهم أجرموا ؛ لأنهم اعتدوا علىٰ حقوقِ الآخرينَ بأن سخروا منهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [المطففين : ٢٩ ـ ٣٢] .

ثم ذكر حكمَهم بعد ذٰلك ، فسمَّاهم كفَّاراً ، فإن هـٰؤلاء كفارٌ وقد وصفوا المؤمنين بالضَّلالِ : ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ فذكر حكمهم ؛ لئلا يظن أن هـٰؤلاء مجرمون ليسوا كفاراً .

وقد ذكر المؤمنين عموماً ، من الذين كان يضحك منهم وغيرهم . وذكر الكفار عموماً ؛ ليبين أن الضَّحكَ كان علىٰ الكفارِ عموماً من هـٰؤلاء الذين كانوا يضحكون وغيرهم ، فالذين آمنوا علىٰ العمومِ ، يضحكون من الكفارِ علىٰ العمومِ ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ ؟!

١٨٢ ـ قال تعالىٰ في سورةِ الغاشيةِ : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية : ١٧] .

سؤالٌ : لماذا خصَّ الإبلَ بالذِّكرِ مع أن من الحيواناتِ ما يماثلها ، أو أعجبُ منها في الخلقِ ؟

الجوابُ : الحقُّ أن الإبلَ أدعىٰ إلىٰ التأملِ والنَّظرِ ، فإنها علاوةً علىٰ أن العربَ يستعملونها كلَّ حينٍ ، فإنها لا يماثلها حيوان في عظمِ جثتها ، وشدةِ قوتِها ، وحملِ الأوقارِ الثقيلةِ ، وإيصالها الأحمالَ الثقيلةَ إلىٰ الأقطارِ البعيدةِ .

وفي صبرِها على الجوعِ والعطشِ أياماً ، وربما يبلغ ذٰلك ثمانية أيام . ورعيها لكلٍّ ما يتيسر من شوكٍ وشجرٍ ، وغير ذٰلك ، وانقيادها للإنسان في الحركةِ والسُّكونِ والبروكِ والنهوضِ . ويقتادها بقطارها كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ ، وفي تأثرها بالصَّوتِ الحسنِ وهو الحداء .

وخصت بالذكر ؛ لأنها أعجبُ ما عند العربِ . وهي علاوةً على ما ذكر يؤكل لحمُها ويحلب درُّها ، ويستفاد من أوبارِها .

وقيل : إن الفيلَ أعظمُ في الأعجوبةِ .

والحقُّ ليس كذٰلك ، فإن الفيلَ لا يؤكل لحمُه ولا يركب ظهرُه من غير مشقةٍ في ترويضِه ، ولا يُحلب درُّه ، وليس له صوفٌ أو شعرٌ أو وبرٌ يستفاد منه .

ولا يحملُ الأوقارَ الثَّقيلةَ في الأسفارِ البعيدةِ ، ولا غير ذٰلك مما اختصت به الإبلُ[1] .

١٨٣ ـ سؤالٌ : هل كان إبليسُ من الملائكةِ ، وإذا لم يكن من الملائكةِ ، فلماذا عاقبه ٱلله علىٰ عدمِ السجودِ لآدمَ ، مع أن الملائكة هم الذين أمروا بالسجودِ له ؟

الجوابُ : إنَّ إبليسَ ليس ملكاً ، ولم يكن من الملائكة ، وإنما هو من الجنِّ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف : ٥٠] .

والجنُّ ليسوا من الملائكةِ ، بدليلِ قولِه تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ

(١) انظر : روح المعاني (٣٠ / ١١٦) .

﴿كَانُوا۟ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾ [سبأ : ٤٠ ـ ٤١] .

أما سببُ عقوبته له ، فإن ٱلله أمره هو حين أمرَ الملائكةَ ، فقد أمرَ الملائكةَ أن يسجدوا لآدم ، وأمره هو علىٰ الخصوصِ أن يسجد معهم ، بدليلِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ [الأعراف : ١٢] فقد أمره هو . فقد كان إبليسُ مأموراً بالسجودِ مع الملائكةِ ، فكانت معصيتُه واستكبارُه عن أمرِ ربِّه سببَ لعنتِهِ ، وٱللهُ أعلمُ .

١٨٤ ـ **سؤالٌ** : قد يذكر ربُّنا في القرآنِ (الإنسانَ) نحو قوله : ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ [الكهف : ٥٤] .

وأحياناً يذكر (البشر) ، وذٰلك نحو قوله : ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [إبراهيم : ١٠] وقوله : ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ [الأنبياء : ٣] . وأحياناً يذكر (بني آدم) ، كقوله تعالىٰ : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف : ٢٧] . فما الفرقُ بين (الإنسانِ) و(البشرِ) و(بني آدمَ) ؟

الجوابُ : الإنسُ خلافُ الجنِّ ، والأنسُ خلافُ النُّفورِ ، والإنسان لا قوامَ له إلا بأنسِ بعضهم ببعضٍ ، ولا يمكن أن يقومَ وحده بجميعِ أسبابِهِ[١] . ويقالُ : (أنست به) وهو خلافُ الوحشةِ .

وقيل : إن الإنسانَ من الظهورِ ، وأصلُ الإنسانِ من الإيناسِ وهو الإبصارُ ، يقال : آنس الشَّيءَ ؛ أي أحسَّه وأبصره .

وقيل للإنس : إنس ؛ لأنهم يؤنسون ؛ أي : يبصرون ، كما قيل للجنِّ : جن ؛ لأنهم لا يؤنسون ؛ أي : لا يُبصَرون[٢] . قال تعالىٰ :

---

(١) المفردات للراغب (أنس) .

(٢) انظر : لسان العرب (أنس) .

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص : ٢٩] أي : أبصر . وقيل : هو من النسيان[١] .

وجاء في (الفروقِ اللغويةِ) : « إن الإنسيَّ يقتضي مخالفة الوحشيِّ . . . والإنسانُ يقتضي مخالفته البهيمية ، فيذكرون أحدهما في مضادةِ الآخرِ ، ويدل علىٰ ذٰلك أن اشتقاقَ الإنسانِ من النِّسيانِ وأصله (إنسيان) .

والنسيانُ لا يكون إلا بعدَ العلمِ فسمي الإنسان إنساناً ؛ لأنه ينسىٰ ما علمه . وسميت البهيمةُ بهيمةً ؛ لأنها أبهمت علىٰ العلمِ والفهمِ ، ولا تعلم ولا تفهم فهي خلافُ الإنسانِ ، والإنسانيةُ خلاف البهيميةِ في الحقيقةِ ؛ وذٰلك أن الإنسانَ يصحُّ أن يعلم إلا أنه ينسىٰ ما علمه . والبهيمية لا يصحُّ أن تعلم »[٢] .

وأما (البشرُ) فهو من البشرةِ ، والبشرةُ « ظاهرُ الجلدِ ، وعبر عن الإنسانِ بالبشرِ اعتباراً بظهورِ جلدةٍ من الشعرِ ، بخلاف الحيوانات التي عليها الصُّوفُ أو الشعرُ أو الوبرُ .

وخصَّ في القرآنِ في كلِّ موضعٍ اعتبر من الإنسانِ جثته وظاهره بلفظِ البشرِ ، نحو : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ وقال : ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ .

ولما أراد الكفارُ الغضَّ من الأنبياءِ اعتبروا ذٰلك فقالوا : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ ، ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ ، ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ .

---

(١) المفردات للراغب (أنس) ، لسان العرب (أنس) .

(٢) الفروق اللغوية (٢٩١ ـ ٢٩٢) .

وعلىٰ هـٰذا قال : ﴿ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ تنبيهاً أن الناسَ يتساوون في البشريةِ ، وإنما يتفاضلون بما يختصُّون به من المعارفِ الجليلةِ والأعمال الجميلة ؛ ولـذا قـال بعـده : ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ تنبيهـاً أنـي تميـزت عنكـم بذٰلك »[1] .

ومن الملاحظِ في القرآنِ الكريمِ أنه إذا أرادَ وصفَ الإنسانِ بصفاتٍ مما طبع عليها ، أو غير ذٰلك من الصِّفاتِ المتميز بها جاءَ بلفظِ (الإنسان) ولم يأتِ بلفظِ (البشر) ممايباعده عن البهيمةِ .

فقد يصفه بالكفرِ أو العجلةِ أو الظُّلمِ أو الجدلِ ، أو أن يسأله سؤالاً للتبكيتِ أو الاتعاظِ أو نحو ذٰلك ، أو أن يناديه لغرضٍ ما ، فإنه يناديه بلفظِ الإنسانِ وليس بلفظِ البشرِ ، وذٰلك نحو قولهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] . وقوله : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٧] . ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠] . ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤] . ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ ﴾ [الإسراء : ٨٣] . ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : ٣٦] . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦] . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ ـ ٧] . ولم يأتِ بنحوِ ذٰلك بلفظِ (البشر) .

وإنما يأتي بلفظِ (البشر) لإثباتِ المماثلةِ وأنهم متساوون ، ولما

---

(١) المفردات للراغب (بشر) .

ليس فيه اتِّصافٌ بشيءٍ من مميزاتِ الإنسانِ .

قال تعالىٰ : ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة : ١٨] . ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم : ١٠] . ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾ [الأنبياء : ٣] . ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون : ٣٤] . ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر : ٢٤] ونحو ذٰلك .

وأما التعبيرُ بـ(بني آدم) فإنه يستعمله في مقام التَّذكيرِ بأبيهم ، وما وقع له مع إبليسَ ، فيحذرهم مما أوقع أباهم فيه ، أو في مقامِ التَّكريمِ كما كرَّم أباهم وأسجدَ له ملائكته .

قال تعالىٰ : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وقبلَها : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف : ٢٦] . وبعدَها : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف : ٣٥] ، وكلُّها في سياقِ آدمَ وإبليسَ وإخراجه من الجنةِ .

ونحو ذٰلك قوله : ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يٰس : ٦٠] .

ومن ذكره في مقام التَّكريم : ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٠] .

فناداهم ببني آدمَ لتذكيرِهم بما حصلَ مع أبيهم ، أو تكريمِهم كما كرَّم أباهم ، وتحذيرِهم من أن يقعوا في حبائلِ الشيطانِ ومن المعصيةِ .

١٨٥ ـ سؤالٌ : في مواضعَ من القرآنِ الكريمِ يعبر بـ(القرية) عن المكانِ ، وأحياناً يعبر عنه بـ(المدينة) ، وهما موضعٌ واحدٌ . وذلك كما في قولِه تعالىٰ في سورةِ يـس : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يـس : ١٣] ، وقوله فيها أيضاً : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يـس : ٢٠] .

وكذلك في قصةِ لوطٍ ، فقد قال فيهم في سورةِ الحجرِ : ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الحجر : ٦٧] ، وقال في العنكبوتِ فيهم : ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت : ٣٤]فما الفرقُ ؟ وما السببُ ؟

الجوابُ : إنَّ لفظَ (المدينةِ) من (مدن) إذا أقامَ بالمكانِ[١] . وأما (القرية) فهي المصرُ الجامعُ[٢] ، والقريةُ الضيعةُ ، وكلُّ مكانٍ اتَّصلت به الأبنيةُ واتخذ قراراً . وتقع علىٰ المدنِ وغيرِها [٣] .

وفي (روحِ المعاني) في قولِه تعالىٰ : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ أنه عبر بالمدينة بعد التَّعبير بالقريةِ إشارة إلىٰ السَّعة[٤] .

وعلىٰ هـٰذا لا منافاةَ بين القريةِ والمدينةِ ، غير أن المدينةَ تقال لما اتَّسع ، والقريةُ تقالُ فيها وفيما هو أقلُّ سعةً كالضيعةِ ، فالتَّعبيرُ بالمدينةِ بعد التَّعبيرِ بالقريةِ إشارةٌ إلىٰ أنها متسعةٌ وليست صغيرةً . هـٰذا من ناحيةٍ .

---

(١) لسان العرب (مدن) .
(٢) المصدر السابق نفسه (قرا) ، القاموس المحيط (القرية) .
(٣) المصباح المنير (قريت) .
(٤) روح المعاني (٢٢ / ١٢٦) .

ومن ناحيةٍ أخرىٰ أن ربَّنا إذا ذكر الهلاكَ جاء معه بلفظ (القرية) ، وذٰلك نحو قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ [الحجر : ٤] .

وقوله : ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٠٨] ، وقوله : ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾ [الإسراء : ١٦] . وقوله : ﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الإسراء : ٥٨] وغيرها . وذٰلك أنها تعد دارَ إقامةٍ فعبَّر عنها بالقريةِ .

١٨٦ ـ **سؤالٌ :** يقول ربُّنا في مواضعَ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ فيصفه بالعظمةِ . وفي موضعٍ يقول : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ فيصفه بالكبر . وفي موضعٍ آخر يقول : ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ فيصفه بأنه ظاهرٌ واضحٌ . فما الفرقُ ؟

الجوابُ : أعلىٰ الأوصافِ للفوزِ ما كان بالعظمةِ ، ويليه الوصفُ بالكبرِ ، ويليه الوصفُ بأنه مبينٌ .

وإيضاحُ ذٰلك أنه يصفُ الفوزَ بأنه مبينٌ في صرفِ العذابِ ، أو الإدخالِ في رحمته ، ولم يذكر إدخالَهم الجنةَ ، وذٰلك في موضعين من القرآنِ الكريمِ ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٍ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الأنعام : ١٥ ـ ١٦] .

وقال : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الجاثية : ٣٠] .

ولا شكَّ أن إدخالَ الجنةِ أعلىٰ من مجرَّدِ صرفِ العذابِ أو ذكرِ الرَّحمةِ علىٰ العمومِ ، وإن كان المقصودُ بها الجنة .

وأما وصفُ الفوزِ بأنه كبيرٌ فذٰلك في موطنٍ واحدٍ وهو قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [البروج : ١١] . فذكر أن لهم جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ .

وأما الوصفُ بأنه عظيمٌ ، فإنه يزيد علىٰ ذٰلك في الجزاءِ إما بذكرِ الخلودِ ، أو إدخالِ الجنةِ ، مع ذكرِ المساكنِ الطيبةِ ، ونحو ذٰلك .

قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٩] .

فقد زاد علىٰ آيةِ البروجِ أنهم خالدون أبداً ، وأنه رضي ٱلله عنهم ورضوا عنه . ولا شكَّ أن هـٰذا أعلىٰ مما ذكر في آيةِ البروجِ .

وقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

وقال : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر : ٨ ـ ٩] .

فقد ذكرَ إدخالَ الجنةِ مع الآباءِ والأزواجِ والذرياتِ ووقايةِ السَّيِّئاتِ . فوصفه بالعظمةِ .

فالوصفُ بالعظمةِ أعلاهن ، ثم الوصفُ بالكبرِ ، ثم بأنه مبينٌ .

١٨٧ ـ **سؤالٌ** : يقول ربُّنا في آياتٍ : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بذكرِ الواوِ بعد همزةِ الاستفهامِ . ويقول في آياتٍ أخرىٰ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى

﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بذكرِ الفاءِ بعد الهمزةِ ، فما الفرق بينهما ؟

الجوابُ : الواو تفيد مطلقَ الجمعِ .

أما الفاءُ فهي قد تفيدُ السببَ ، فإذا كان ما قبلها سبباً يدعو لما بعدها ، وكان ما بعدها مبنياً علىٰ ما قبلها عطف بالفاءِ ، وإلا عطفَ بالواوِ .

وإيضاحُ ذٰلك ما ورد في قوله سبحانه : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف : ١٠٩] ، فقد قالَ قبلها : ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ... وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾ [يوسف : ١٠٧ ـ ١٠٩] فإن ذٰلك مدعاةٌ إلىٰ التأملِ والتَّدبرِ والنظرِ .

فقد جاءت من قبلهم غاشيةٌ من عذاب ٱلله ، بل غواشٍ كثيرة ، أفأمنوا أن تأتيهم غاشيةٌ من عذابه ، أفلم يسيروا في الأرضِ فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلِهم ، ممن جاءتهم الغاشيات ! !

ألا يكون ذٰلك سبباً كافياً للاتِّعاظِ ؟ فإنه لا يردُّ بأسه عن القومِ المجرمين ، أفلم يسيروا في الأرضِ فينظروا ؟ ! فالسِّياقُ يستدعي المجيءَ بالفاءِ .

ونحو ذٰلك قولُه تعالىٰ في سورةِ الحجِّ : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج : ٤٦] فإنه جاءَ بالفاءِ ؛ لأنه مبنيٌّ علىٰ ما قبله ، واستدلالٌ به ، فقد قال قبل هـٰذه الآيةِ : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ

فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج : ٤٢ ـ ٤٥] . ثم قال بعدَ ذٰلك : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ...﴾ [الحج : ٤٦] فما قبلها سببٌ يدعو للسَّيرِ والنَّظرِ والاتِّعاظِ .

في حين قال في سورةِ الروم : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم : ٩] .

فقد جاء بالواوِ ذٰلك أن قبلها : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم : ٨] ، فالواو كما ترىٰ هنا لمطلقِ الجمعِ ، وليس ما قبلها سبباً لما بعدها كما مرَّ فيما سبق .

ونحو ذٰلك قال تعالىٰ في سورةِ غافرٍ : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر : ١٩ ـ ٢١] .

فجاء بالواوِ لمطلقِ الجمعِ ، وليس ما قبل الآيةِ سبباً لما في الآيةِ . فناسب كلٌّ تعبيرٍ موضعه الذي وردَ فيه .

١٨٨ ـ **سؤالٌ** : قال ٱلله سبحانه في سورةِ الصَّافاتِ في قسمٍ من الأنبياءِ أنه ترك عليهم في الآخرينَ سلاماً . فقد قال في نوحٍ : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ

فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾
[الصافات : ٧٨ ـ ٨٠] .

وكذٰلك قال في إبراهيمَ وموسىٰ وهارونَ وإلياسَ ، ولم يقل مثل ذٰلك في لوطٍ ويونسَ . فلماذا ؟

الجوابُ : أما يونسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه ذكر عنه عدم الأَوْلى من فعله ، فقد قال عنه : إنه أبقَ إلىٰ الفلكِ المشحونِ ، فالتقمه الحوتُ وهو مليم ؛ أي أتىٰ بما يلام عليه . وقال فيه : ﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾
[الصافات : ١٤٠ ـ ١٤٥] .

فلا يناسب أن يقول : (وتركنا عليه في الآخرين . سلام علىٰ يونسَ) ؛ لأنه ذكر المؤاخذاتِ عليه .

وأما لوطٌ فإن قومه كانوا يفعلون فاحشةً لم يسبقهم بها أحدٌ من العالمين ؛ وهي فاحشةٌ يُستحيىٰ من ذكرها ، فلا تكاد تذكر ؛ لأن الناس يخجلون من ذكرِها فلا يذكر لوطٌ بذكرها .

ثم إن لوطاً لم يؤمن به أحدٌ من قومِه غير أهلِ بيتِه ، فلم ينجُ من قومه أحدٌ فيذكروه بعد ذٰلك ، وعلىٰ ما نعلم أنه لم ينجُ معه إلا ابنتاه .

ثم إنه قد دخلَ كلٌّ من يونسَ ولوطٍ في قوله : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٨١] . فدخلا في سلامِ ٱللهِ مع إخوانهم المرسلينَ ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ .

١٨٩ ـ سؤالٌ : يردُ في القرآنِ الكريمِ ذكرُ المسيحِ ، والمسيحُ ابن مريمَ ، والمسيحُ عيسىٰ ابن مريمَ . كما يردُ ذكر عيسىٰ ابنِ مريمَ أو ابن مريمَ من دونِ ذكرِ المسيحِ . فما الفرقُ ؟

الجوابُ :

١ ـ كلُّ ما وردَ فيه ذكرُ (المسيح) إنما هو في مقامِ تصحيحِ العقيدةِ ، أو في مقامِ المدحِ والثناءِ عليه . وليس في سياقِ ذكرِ الرِّسالةِ أو إيتائه البيناتِ أو التكليفِ .

قال تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ ﴾ [المائدة : ١٧] .

وقال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ ﴾ [المائدة : ٧٢] . وقال : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة : ٣١] . وقال : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [التوبة : ٣٠] . وهي كما ترىٰ في تصحيحِ العقيدةِ واتخاذِ المسيحِ إلـٰهاً .

وقال : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ... ﴾ [آل عمران : ٤٥ ـ ٦١] .

وقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] . وهي في مقامِ الثَّناءِ عليه ، وتصحيحِ العقيدةِ .

٢ ـ لم يذكر (ابن مريمَ) في مقامِ التَّكليفِ وإيتائه البيِّناتِ ، وإنما في مقامِ الثَّناءِ عليه . قال تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

وقال : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٧ ـ ٥٩] . وهو كما ترىٰ في مقامِ الثناءِ عليه .

٣ ـ أما ذكرُ (عيسىٰ) فهو عامٌّ :

أ ـ يرد في سياقِ التّكليفِ وإيتائه البيّناتِ ، ولم يأتِ التّكليفُ إلا مع اسمِه العَلَمِ : (عيسىٰ) .

ب ـ ويردُ في سياقِ الثّناءِ عليه .

ج ـ ولم يرد نداؤه إلا باسمه العَلَمِ : (عيسىٰ) .

قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٨٧] . وقال : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقال : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٦] . وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [الصف : ٦] .

وقال : ﴿ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] ، وقال : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الزخرف : ٦٣] . وقال : ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٥٢] ، وهي في سياقِ إيتائِهِ البيّناتِ وفي سياقِ التّكليفِ .

وقال : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ

أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة : ١١٠] .

وقال : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد : ٢٧] .

وقال : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة : ١١٢] .

وقال : ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة : ١١٤] . وهي في سياقِ الثَّناءِ عليه والنداءِ .

١٩٠ ـ سؤالٌ : ما الفرق بين الأجرِ والرزقِ ؟

الجوابُ : الأجرُ قد يكونُ هو الجزاءَ علىٰ العملِ ، ويقال فيما كان عُقِدَ ، وما يجري مجرىٰ العقدِ[١] .

أما الرزقُ فقد يستعملُ للنَّصيبِ ، ويستعمل للقوتِ الذي يتغذىٰ به البدن ، وذٰلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود : ٦] .

وقـــال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت : ٦٠] . ولا يصحُّ أن يقالَ في هـٰذا : أجرٌ .

وقد يستعمل الرزقُ للمطرِ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر : ١٣] ، وله استعمالاتٌ أخرىٰ[٢] .

---

(١) انظر : مفردات الراغب (أجر) .

(٢) انظر : مفردات الراغب (رزق) .

١٩١ ـ سؤالٌ : ما الفرق بين (يا ويلنا) و(يا ويلتنا) ؟

الجوابُ : الويل معناه الهلاكُ والعذابُ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] ، وقال : ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٤] . وقال : ﴿ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يٰس : ٥٢] .

أما الويلةُ فهي الفضيحةُ[1] والخزيُ ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ [هود : ٧٢] . أي : يا للفضيحةِ .

وقال : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

وذلك أنه لما رأوا فيه أعمالاً مخزيةً ، وفضائحَ لا يحبون أن يطَّلعَ عليها أحدٌ ، وقد رأوها مدوَّنةً في الكتابِ ؛ قالوا : (يا ويلتنا) أي : يا للفضيحةِ والخزيِ .

١٩٢ ـ سؤالٌ : ما الفرق بين البعلِ والزَّوجِ ؟

الجوابُ : **البعلُ** : هو الذَّكرُ من الزوجينِ ، وهو من الاستعلاءِ ؛ لأنه المستعلي علىٰ المرأةِ والقائمُ عليها .

والبعلُ : هو المالكُ والرَّئيسُ ، وسمي زوجُ المرأةِ بعلاً ؛ لأنه سيدها . وقيل للأرضِ المستعليةِ علىٰ غيرها بعلاً ، وسميت الأرض المرتفعة بعلاً ، وقيل لفحل النَّخلِ بعلاً .

وسمي به كلُّ مستعلٍ علىٰ غيرهِ ، فسمىٰ العربُ معبودهم بعلاً ، وهو

(١) انظر : لسان العرب (ويل) .

الذي يتقربون به إلىٰ ٱللهِ [١] .

وأما الزوجُ : فيقال لكلٍّ من القرينين من الذكر والأنثىٰ ، فالرَّجل زوجُ المرأةِ ، والمرأة زوجُ الرَّجلِ ، ويقالُ لكلٍّ ما يقترن بآخرَ مماثلاً له أو مضاداً كالخفِّ والنَّعلِ [٢] .

والأزواج هم القرناءُ والنُّظراءُ والأمثالُ ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات : ٢٢] أي : أمثالَهم ونظراءَهم في العملِ : أصحابُ الرِّبا مع أصحابِ الرِّبا ، وأصحابُ الخمرِ مع أصحابِ الخمرِ [٣] .

وقال : ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ [صٓ : ٥٨] أي أجناسٌ [٤] .

١٩٣ ـ سؤالٌ : ما الفرق بين القسطِ والعدلِ ؟

الجوابُ : القسطُ هو الحصَّةُ والنَّصيبُ ، تقول : ليأخذ كل واحدٍ قسطه ؛ أي : نصيبه [٥] .

ولذا لم يستعمل القرآن في الوزنِ إلا القسط ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [هود : ٨٥] . وقال : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الرحمـٰن : ٩] .

أما (العدل) فهو المساواةُ ، فبالفتح أي : العَدْل هو في الأحكامِ

---

(١) انظر : لسان العرب (بعل) ، مفردات الراغب (بعل) .

(٢) انظر : مفردات الراغب (زوج) ، لسان العرب (زوج) .

(٣) انظر : روح المعاني (٢٣ / ٧٩) .

(٤) انظر : روح المعاني (٢٣ / ٢١٥) .

(٥) انظر : لسان العرب (قسط) .

وما لا يبصَر . والعِدلُ (بكسرِ العينِ) والعديلُ فيما يدرك بالحاسةِ ، كالموزوناتِ والمعدوداتِ والمكيلاتِ[١] . تقول : (هٰذا عِدل هٰذا).

قال تعالىٰ : ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق : ٦٥] ولا يصحُّ : ذوي قسطٍ .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ...عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة : ٩٥] .

فقال : ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ بالفتحِ ؛ لأن الصيامَ لا يبصرُ بالحاسَّةِ .

١٩٤ ـ سؤالٌ : ما الفرق بين قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ و﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ ؟

الجوابُ : معنىٰ (وقع القولُ) : حصلَ وحلَّ ، والمرادُ بـ(القولِ) ما نطقَ من الآياتِ الكريمةِ بمجيءِ الساعةِ ، وما فيها من فنونِ الأهوالِ ، وقد يراد بالوقوعِ دُنُوُّه واقترابُه[٢] .

فمعنىٰ ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ : حلَّ بهم العذابُ وحصل ما ذكره القرآن من مجيءِ الساعةِ وأهوالِها .

وأما (حق القول) فمعناه : ثبت لهم العذابُ ووجب ، وإن لم

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن (عدل) .
(٢) انظر : تفسير أبي السعود (٥ / ٣٠٨) ، روح المعاني (١٥ / ٤١ ، ١٥٣) ، فتح القدير (٥ / ٢٧٧) .

يكن قد وقع . قال تعالىٰ في قريش : ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يسٓ : ٧] .

وقد يكون العذابُ في الدنيا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] .

فقوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ قد يكون ذٰلك في الدنيا أو في الآخرةِ .

وأما قوله : ﴿ وَقَعَ ٱلْقَوْلُ ﴾ فلم يرد في القرآنِ إلا في الآخرةِ أو قبيلَ الساعةِ .

وقد ورد هٰذا التعبيرُ في موطنينِ من القرآنِ الكريمِ ، وهما قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢] . وهٰذا حين مشارفةِ السّاعةِ وظهور أشراطِها ، وحين لا تنفعُ التوبةُ [١] . وقوله : ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [النمل : ٨٥] . وهٰذا في الآخرةِ . فقوله : ﴿ وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أقربُ إلىٰ الحصولِ من ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ .

١٩٥ ـ سؤالٌ : ما الفرقُ بين الوفاةِ والموتِ ؟

الجوابُ : الوفاة تأتي بمعنىٰ الموتِ ، وتأتي بمعنىٰ النومِ [٢] .

قال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ

---

(١) انظر : الكشاف (٥ / ١١٠) .

(٢) انظر : مفردات الراغب (وفىٰ) ، لسان العرب (وفىٰ) .

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر : ٤٢] .

وقال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام : ٦٠] . فسمى النوم توفياً .

جاء في (مفرداتِ الراغبِ) : « وقد عبّر عنِ الموتِ والنَّوم بالتوفي ، قال تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ »[١] .

وجاء في (لسانِ العربِ) : « وأما توفي النائم فهو استيفاءُ عقلِهِ وتمييزه إلىٰ أن ينامَ »[٢] .

وأما الموتُ فهو نقيضُ الحياةِ[٣] . جاء في (روحِ المعاني) في قوله : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ : « ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ أي : يقبضها عن الأبدان ؛ بأن يقطع تعلقها تعلق التَّصرفِ فيها عنها . ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي : في وقتِ موتِها . . . ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ بأن يقطع سبحانه تعلقها بالأبدانِ تعلق التَصرُّفِ فيها عنها أيضاً .

فتوفي الأنفس حين الموتِ وتوفيها في وقتِ النَّومِ بمعنىٰ قبضها عن الأبدانِ ، وقطعِ تعلقها بها تعلق التَّصرُّفِ . إلا أن توفيها حين الموتِ قطع تعلقها بها تعلقَ التَّصرفِ ظاهراً وباطناً ، وتوفيها وقت النومِ قطعٌ لذٰلك ظاهراً فقط ، وسلبُ الحركاتِ الاختياريةِ وغيرها »[٤] .

---

(١) مفردات الراغب (وفىٰ) .

(٢) لسان العرب (وفىٰ) .

(٣) المصدر السابق نفسه (موت) .

(٤) روح المعاني (٢٤ / ٧) .

وجاء في (روح المعاني) في قوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ « حيث لا تميزون ولا تتصرفون كما أن الموتىٰ كذٰلك »[١] .

وقد استعمل القرآنُ الموتَ عاماً في الإنسانِ والحيوانِ والنباتِ . قال تعالىٰ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر : ٣٠] .

وقال : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة : ٢٦٠] . فاستعمل الموتَ للطَّيرِ .

واستعمله للأرضِ ، فقال في آياتٍ عدَّةٍ : ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة : ١٦٤] .

وقال : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان : ٤٨ـ٤٩] . ولم يستعملِ التَّوفي إلا للإنسانِ .

١٩٦ ـ سؤالٌ : ما الفرق بين العذابِ والعقابِ والنكالِ ؟

الجوابُ : **العذابُ** هو الألمُ الثقيلُ والإيجاعُ الشديدُ جزاءً كان أوْ لا ، وسواءً كان صاحبه مستحقاً أم غيرَ مستحقٍّ[٢] . والعقابُ جزاءُ الشرِّ[٣] ، وينبئ عن استحقاقٍ . وسمي بذٰلك لأن الفاعل يستحقه عقيب فعلِه[٤] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢٤ / ٧) .

(٢) انظر : الفروق اللغوية (٢٥٣) ، المفردات في غريب القرآن (عذب) ، الكليات (٦٥٤) .

(٣) انظر : الكليات (٦٥٣) .

(٤) الفروق اللغوية (٢٥٣) .

جاء في (لسانِ العربِ) : « العقابُ والمعاقبةُ أن تجزي الرجلَ بما فعل سوءاً . والاسمُ العقوبةُ . وعاقبه بذنبهِ معاقبةً وعقاباً : أخذه به »[١] .

وأما النَّكالُ فهو العقوبةُ الرَّادعةُ للغيرِ ، إذا رآه خاف أن يعملَ عمله . جاء في (لسانِ العربِ) : « النكلُ اسمٌ لما جعلته نكالاً لغيره إذا رآه خاف أن يعملَ عملهُ . . . نكلَ به تنكيلاً إذا جعله نكالاً وعبرةً لغيره . ويقالُ : نكلت بفلانٍ إذا عاقبته في جرمٍ أجرمه عقوبةً تنكِّل غيره عن ارتكابِ مثله »[٢] .

١٩٧ ـ **سؤالٌ** : ما الفرق بين الغنىٰ والثَّروةِ ؟

الجوابُ : الثروةُ كثرةُ العددِ من النَّاسِ والمالِ ، يقال : ثروةُ رجالٍ وثروةُ مالٍ .

والثَّراءُ المالُ الكثيرُ . وثرا ٱللهُ القومَ ؛ أي : كثَّرهم . وثرا القومُ كثروا ونموا . ويقال : مال ثريٌّ ؛ أي : كثيرٌ[٣] .

وأما الغِنىٰ فهو ضدُّ الفقرِ . والغنيُّ الذي لا يحتاجُ إلىٰ أحدٍ في شيءٍ وهو الغنيُّ المطلق ، وذٰلك هو ٱللهُ وحده . أو قلَّةُ الحاجةِ إلىٰ الشَّيءِ . واستغنىٰ عن الشَّيءِ لم يلتفت إليه[٤] .

---

(١) لسان العرب (عقب) .

(٢) المصدر السابق نفسه (نكل) .

(٣) انظر : لسان العرب (ثرا) .

(٤) انظر : لسان العرب (غنا) ، المفردات في غريب القرآن (غني) .

١٩٨ ـ سؤالٌ : ما الفرق بين الأبناءِ والأولادِ ؟

الجوابُ : (الأبناءُ) جمعُ ابنٍ وهو الذَّكرُ خاصَّةً . قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٩] .

أما (الأولادُ) فجمعُ ولدٍ وهو عامٌّ ، يقال للذَّكرِ والأنثىٰ . قال تعالىٰ : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ [النساء : ١١] . والوصيةُ للجميعِ .

وقال : ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] . والإرضاعُ لا يختصُّ بالذكورِ أو الإناثِ .

١٩٩ ـ سؤالٌ : ما الفرقُ بين الخوفِ والخشيةِ والوجلِ ؟

الجوابُ : قيل : إن « الخوف توقعُ مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ »(١) .

« والخشيةُ خوفٌ يشوبه تعظيمٌ ، وأكثر ما يكون ذٰلك عن علمٍ بما يخشىٰ منه ؛ ولذٰلك خصَّ العلماء بها في قوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ ﴾ [فاطر : ٢٨] »(٢) .

وقيل : الخشيةُ أشدُّ الخوفِ وأعظمه . وقيلَ : ربما قيل : خشيت بمعنىٰ علمت(٣) .

---

(١) مفردات الراغب (خوف) .

(٢) المصدر السابق نفسه (خشي) .

(٣) المصباح المنير (خشي) .

قال تعالىٰ في آلِ عمرانَ : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

وقال : ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة : ٣] .

فذكر الخوف في آلِ عمرانَ ؛ ذٰلك أنه في سياقِ توقع مكروهٍ ، فهي في سياقِ القتالِ . قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٥] .

وليس السِّياقُ في المائدةِ في مثلِ ذٰلك .

وقال تعالىٰ مخاطباً موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٧٧] .

فذكر الخوفَ في قولِهِ : ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا ﴾ وعطفَ عليه الخشيةَ ، فقال : ﴿ وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ ، قيل : إن المعنىٰ « لا تخاف أن يدرككم فرعونُ وجنودهُ من خلفكم . ولا تخشىٰ أن يغرقَكم البحر من قدامكم . . . والخشيةُ أعظمُ الخوفِ ، وكأنه إنما اختيرت هنا لأن الغرقَ أعظمُ من إدراك فرعون وجنوده لما أن ذٰلك مظنَّةُ السَّلامةِ . ولا ينافي ذٰلك أنهم إنما ذكروا أولاً ما يدل علىٰ خوفِهم من حيث قالوا : (إنا لمدركون) ؛ ولذا سُوْرِعَ في إزاحتِه بتقديمِ نفيه »[1] .

---

(١) روح المعاني (١٦ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧) .

وأما الوجلُ فهو الفزعُ والخوفُ[١] ، وقيل : اضطرابُ النَّفسِ لتوقعِ مكروهٍ . وعلامته حصول القشعريرةِ واضطراب القلبِ ، قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج : ٣٥] . ومعنىٰ ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ : « أي : فزعت استعظاماً لشأنِ الجليلِ وتهيُّباً منه ، وهٰذا الوجل في قلبِ المؤمنِ كضربة السَّعفةِ ، كما جاء عن عائشةَ رضي ٱلله تعالىٰ عنها ، وعلامتهُ حصولُ القشعريرةِ »[٢] .

وعن أمِّ الدَّرداءِ رضي ٱلله عنها أن الوجلَ في القلبِ كاحتراقِ السَّعفةِ ، أما تجد له قشعريرةً[٣] ؟

ومن الملاحظِ أنه لم يرد في القرآنِ إسنادُ الوجلِ من ٱللهِ إلا للقلبِ . قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج : ٣٤ـ٣٥] .

وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

ووردَ الوجلُ من الملائكةِ في قصَّةِ إبراهيمَ علىٰ العمومِ ، ولم يخصه بالقلبِ ، فقال : ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ ﴾ [الحجر : ٥٢ـ٥٣] . ولم يردْ في القرآنِ الكريمِ إسنادُ الخشيةِ أو الخوفِ إلىٰ القلبِ .

٢٠٠ ـ سؤالٌ : ما الفرق بين الرُّشْدِ والرَّشَدِ ؟

الجوابُ : الرُّشْدُ يقال في الأمور الدُّنيويةِ والأخرويةِ . وأما الرَّشَدُ

---

(١) المفردات للراغب (وجل) ، لسان العرب (وجل) .

(٢) روح المعاني (٩ / ١٦٥) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٢ / ٢٨٥) .

فيقال في الأمور الأخروية لا غير[(١)] .

وفي (لسانِ العربِ) : « الرُّشْد والرَّشَد والرَّشادُ نقيضُ الغيِّ . رشَد الإنسانُ بالفتحِ يرشد رُشداً بالضَّمِّ .

ورشِد بالكسرِ يرشَد رشَداً ورشاداً ، فهو راشدٌ ورشيدٌ ، وهو نقيضُ الضَّلالِ ، إذا أصابَ وجهَ الأمرِ والطَّريقِ »[(٢)] .

والرَّشادُ نقيضُ الضَّلالِ ، والإرشادُ الهدايةُ ، وسبيلُ الرَّشادِ سبيلُ القصدِ[(٣)] ، وطريق الصَّوابِ والصَّلاحِ ، والغيُّ الضَّلالُ والخيبةُ والفسادُ[(٤)] .

وقد استعمل القرآن (الرُّشْد) بالضَّمِّ للأمورِ الدنيويةِ والأخرويةِ . قال تعالىٰ : ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء : ٦] .

وقال : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . وقال : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ [الجن : ١ ـ ٢] .

وقال : ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

أما الرَّشَد فاستعمله في الأمورِ الأخرويةِ لا غيرُ . قال تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] . وقال : ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ٢٤] .

---

(١) انظر : مفردات الراغب (رشد) .

(٢) لسان العرب (رشد) .

(٣) انظر : لسان العرب (رشد) .

(٤) انظر : لسان العرب (غوىٰ) .

وقال : ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن : ١٠] . وقال : ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن : ١٤] .

واستعمل (الرَّشاد) في سبيلِ القصدِ وطريقِ الصَّوابِ والصَّلاحِ . قال تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر : ٢٩] . وقال : ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر : ٣٨] .

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي تحقيق : محمود أحمد القيسية ، ومحمد أشرف سليمان الأتاسي ، مؤسسة النداء ، الطبعة الأولىٰ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

- الأصول لابن السَّراج ، تحقيق : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف .

- الأمالي الشجرية ، لأبي السعادات هبة ٱلله بن الشجري ، الطبعة الأولىٰ ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٤٩ هـ .

- أنوار التنزيل ، للقاضي البيضاوي ، المطبعة العثمانية ، ١٣٠٥هـ .

- البحر المحيط ، لأبي حيان ، الطبعة الأولىٰ ، ١٣٢٨ هـ ، مطبعة السعادة ، مصر .

- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد ٱلله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولىٰ ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ، دار إحياء الكتب العربية .

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، الأردن .

- تاج العروس شرح القاموس ، لمحمد مرتضىٰ الزبيدي ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، تصوير الطبعة الأولىٰ بالمطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ .

- تفسير أبي السعود .

- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه .

- التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م .

- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، للإمام علاء الدين بن علي بن محمد الأربلي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .

- درة التنزيل وغرة التأويل ، للخطيب الإسكافي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولىٰ ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم ، لشهاب الدين السيد محمود الألوسي ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي .

- شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية .

- شرح ألفية ابن مالك ، لابن الناظم ، المطبعة العلوية في النجف ، ١٣٤٢هـ .

- شرح التَّصريح علىٰ التوضيح ، لخالد بن عبد ٱلله الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية .

- شرح رضي الدين الإستراباذي علىٰ الكافية لابن الحاجب .

ـ فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الأولىٰ ، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، سنة ١٣٤٩ هـ .
ـ الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، المكتبة التوفيقية ، تحقيق : أبي عمرو عماد زكي البارودي ، مصر .
ـ القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزأبادي ، الطبعة الخامسة ، شركة فن الطباعة ، مصر .
ـ كتاب سيبويه ، مصور عن طبعة بولاق ، نشر مكتبة المثنىٰ ، بغداد .
ـ الكشاف ، لجار ٱلله الزمخشري ، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
ـ الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسىٰ الكفوي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
ـ لسان العرب ، لابن منظور ، مصور عن طبعة بولاق .
ـ المصباح المنير ، لأحمد بن محمد الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت .
ـ معاني الأبنية في العربية ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الأولىٰ ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
ـ معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ م .
ـ معاني النحو ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، الطبعة الأولىٰ ، سنة ١٩٩١ م .
ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد بن محيي الدين عبد الحميد .
ـ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، طهران .

ـ المفصل في علم العربية ، للزمخشري ، نشره محمود توفيق ، مطبعة حجازي ، القاهرة .
ـ ملاك التأويل ، لأبي جعفر الزبير الغرناطي ، تحقيق : الدكتور محمود كامل أحمد ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
ـ النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، مطبعة مصطفىٰ محمد ، مصر .
ـ همع الهوامع ، للسيوطي ، مطبعة السَّعادة ، مصر ، الطبعة الأولىٰ ، ١٣٢٧ هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠١ ـ من سورةِ البقرةِ	٢	٧
١٠٢ ـ من سورةِ البقرةِ	٣٣	٩
١٠٣ ـ من سورةِ البقرةِ	١١٣	١٠
١٠٤ ـ من سورةِ البقرةِ	١٤٣	١٤
١٠٥ ـ من سورةِ البقرةِ	١٥٨	١٥
١٠٦ ـ من سورةِ البقرةِ	١٧٧	١٦
١٠٧ ـ من سورةِ البقرةِ	١٩١ ـ ١٩٣	١٧
١٠٨ ـ من سورةِ البقرةِ	١٩٦	١٩
١٠٩ ـ من سورةِ البقرةِ	٢١٢	٢٠
١١٠ ـ من سورةِ البقرةِ	٢٤٠	٢١
١١١ ـ من سورةِ البقرةِ	٢٦٠	٢٣
١١٢ ـ من سورةِ البقرةِ	٢٨٢	٢٣
١١٣ ـ من سورةِ آلِ عمرانَ	١١	٢٦
١١٤ ـ من سورةِ آلِ عمرانَ	١٤	٢٨
١١٥ ـ من سورةِ آلِ عمرانَ	٤١	٢٨
١١٦ ـ من سورةِ آلِ عمرانَ	١٥٧ ـ ١٥٨	٣٠

الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٧ ـ من سورةِ النِّساءِ	١	٣٢
١١٨ ـ من سورةِ النِّساءِ	٤٨	٣٣
١١٩ ـ من سورةِ النِّساءِ	١٧١	٣٦
١٢٠ ـ من سورةِ المائدةِ	١	٣٦
١٢١ ـ من سورةِ المائدةِ	٣	٣٩
١٢٢ ـ من سورةِ المائدةِ	٣٢	٤٠
١٢٣ ـ من سورةِ الأنعام	٧ ـ ٩	٤٢
١٢٤ ـ من سورةِ الأنعامَ	١٠	٤٢
١٢٥ ـ من سورةِ الأنعامَ	٤٧	٤٤
١٢٦ ـ من سورةِ الأنعامَ	٩٠	٤٥
١٢٧ ـ من سورةِ الأنعامَ	٩٤	٤٨
١٢٨ ـ من سورةِ الأنعامَ	١٠٠	٤٩
١٢٩ ـ من سورةِ الأنعامَ	١٣٠	٥٠
١٣٠ ـ من سورةِ الأنعامَ	١٥٧	٥١
١٣١ ـ من سورةِ الأنعامَ	١٦١	٥٣
١٣٢ ـ من سورةِ الأنعامَ	١٦٥	٥٥
١٣٣ ـ من سورة الأعرافِ	٧٤	٥٧
١٣٤ ـ من سورة الأعرافِ	١٠١	٥٩
١٣٥ ـ من سورة الأعرافِ	١٠٣	٦٠
١٣٦ ـ من سورة الأعرافِ	١٧١	٦١
١٣٧ ـ من سورة التوبةِ	٢٦	٦٢
١٣٨ ـ من سورة هودٍ	٣٥	٦٣
١٣٩ ـ من سورة هودٍ	١٠٨	٦٥
١٤٠ ـ من سورة يوسفَ	٤	٦٥

الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤١ ـ من سورة يوسفَ	٢٤	٦٦
١٤٢ ـ من سورة يوسفَ	٩٠	٦٧
١٤٣ ـ من سورة يوسف	٩٤	٦٨
١٤٤ ـ من سورة يوسفَ	١٠٠	٦٨
١٤٥ ـ من سورة يوسفَ	١٠٩	٦٩
١٤٦ ـ دلالة القميص في قصَّة يوسفَ		٧٠
١٤٧ ـ من سورة الرَّعدِ	١٩ ـ ٢٢	٧١
١٤٨ ـ من سورة الحجر	١٦ ـ ١٨	٧٤
١٤٩ ـ من سورة الحجر	٧٣ ـ ٧٧	٧٦
١٥٠ ـ من سورة النحل	٤٨	٧٧
١٥١ ـ من سورة النحل	٦٥	٧٨
١٥٢ ـ من سورة النحل	١٢٠ ـ ١٢٢	٧٩
١٥٣ ـ من سورة مريم	١٥	٨٠
١٥٤ ـ من سورة مريم	٩٤	٨١
١٥٥ ـ من سورة طه	٩٧	٨٢
١٥٦ ـ من سورة الأنبياء	٤٦	٨٣
١٥٧ ـ من سورة الحجِّ	٢٧	٨٦
١٥٨ ـ من سورة الفرقانِ	٧٠ ـ ٧١	٨٦
١٥٩ ـ من سورة الشعراءِ	٣٨	٨٧
١٦٠ ـ من سورة النَّملِ	١٨	٨٨
١٦١ ـ من سورة النَّملِ	٦٠ ـ ٦٤	٩٠
١٦٢ ـ من سورة الرُّوم	١٧ ـ ١٨	٩٢
١٦٣ ـ من سورة الأحزابِ	٥٠	٩٤
١٦٤ ـ من سورة فاطرٍ	١٩	٩٥

الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٥ ـ من سورة يـٓس	٦٥	٩٦
١٦٦ ـ من سورة الزمرِ	٢	٩٧
١٦٧ ـ من سورة الزمرِ	٧٠	٩٨
١٦٨ ـ من سورة فصلتْ	٢٠ ـ ٢١	٩٩
١٦٩ ـ من سورة الجاثيةِ	٧ ـ ١١	١٠٠
١٧٠ ـ من سورة الفتحِ	٩	١٠٢
١٧١ ـ من سورة قٓ	١٢ ـ ١٤	١٠٣
١٧٢ ـ من سورة المجادلةِ	٦ ـ ٧	١٠٤
١٧٣ ـ من سورة الطَّلاقِ	٤	١٠٤
١٧٤ ـ من سورة التَّحريمِ	٣	١٠٦
١٧٥ ـ من سورة الملكِ	٢٠	١٠٦
١٧٦ ـ من سورة الحاقةِ	٤ ـ ٦	١٠٨
١٧٧ ـ من سورة المعارجِ	٤	١٠٩
١٧٨ ـ من سورة المزملِ	٩	١١٠
١٧٩ ـ من سورة النبأ	٢٨	١١٢
١٨٠ ـ من سورة النبأ	٢٤ ـ ٢٦	١١٣
١٨١ ـ من سورة المطففينَ	٢٩	١١٥
١٨٢ ـ من سورة الغاشيةِ	١٧	١١٦
١٨٣ ـ هل كان إبليس من الملائكة		١١٧
١٨٤ ـ الفرق بين (الإنسان) و(البشر) و(بني آدم)		١١٨
١٨٥ ـ الفرق بين القرية والمدينة (من سورة يـٓس :	١٣ ـ ٢٠)	١٢٢
١٨٦ ـ الفرق بين (ذٰلك الفوز العظيم) و(ذٰلك الفوز الكبير) و(ذٰلك الفوز المبين)		١٢٣

الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٧ ـ الفرق بين (أفلم يسيروا في الأرض) و(وأولم يسيروا في الأرض)		١٢٤
١٨٨ ـ لماذا قال في سورةِ الصَّافاتِ في قسم من الأنبياءِ أنه ترك عليهم سلاماً ، ولم يقل في قسم آخر ؟		١٢٦
١٨٩ ـ الفرق بين قولِهِ تعالىٰ (المسيح ، والمسيح ابن مريم ، والمسيح عيسىٰ ابن مريم) ونحو ذٰلك		١٢٧
١٩٠ ـ الفرق بين الأجرِ والرِّزقِ		١٣٠
١٩١ ـ الفرق بين (يا ويلنا) و(يا ويلتنا)		١٣١
١٩٢ ـ الفرق بين البعلِ والزوج		١٣١
١٩٣ ـ الفرق بين القسطِ والعدلِ		١٣٢
١٩٤ ـ الفرق بين (وقع القول) و(حقَّ القول)		١٣٣
١٩٥ ـ الفرق بين الوفاةِ والموتِ		١٣٤
١٩٦ ـ الفرق بين العذابِ والعقابِ والنكالِ		١٣٦
١٩٧ ـ الفرق بين الغنىٰ والثروةِ		١٣٧
١٩٨ ـ الفرق بين الأبناءِ والأولادِ	....	١٣٨
١٩٩ ـ الفرق بين الخوفِ والخشيةِ والوجلِ		١٣٨
٢٠٠ ـ الفرقُ بين الرُّشدِ والرَّشَدِ		١٤٠
مراجع الكتاب		١٤٣
فهرس الموضوعات		١٤٧

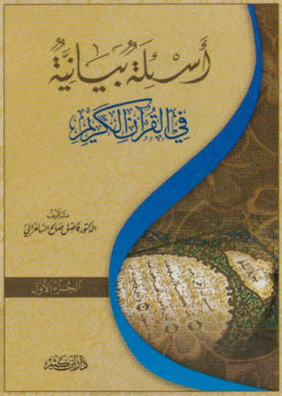

أسئلة وإجابات حول الأسلوب البياني في القرآن الكريم، مرتبة حسب تسلسل الموضوعات في المصحف الشريف.

ويجد القارئ لفتات عميقة، ونظرات صائبة، تدل على حسن التفهم، والربط بين الآيات، تأكيداً لإعجاز القرآن، وأنه موحى من لدن حكيم عليم.

واعتمد المؤلف على المصادر الموثوقة المعتبرة لدى العلماء، من التفاسير، والمعاجم، وكتب الغريب، وبعض المراجع الحديثة ذات الصلة بموضوع هذا الكتاب، وهي بمجموعها تزيد على الثلاثين مصنفاً.

وأسلوب السؤال والجواب يثير الفكر، ويحرض العقل على التأمل والتدبر، ويساعد على الحفظ والاستظهار، واستحضار الجواب عند المذاكرة في نصوص التنزيل.

ISBN 978-614-415-040-5

دار ابن كثير

www.ibn-katheer.com

info@ibn-katheer.com